

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٩ع٧، ص ص: ٣٣١-٣٧٠ (٢٠٢١م)

DOI:10.4197/Art.29-7.12

جهود الشيخ العلاّمة عبدالله بن عبدالرحمن البسّام رحمه الله في خدمة السنة النبوية

عبدالله بن محمد بن منصور

أستاذ الحديث وعلومه المشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والآداب بالنماص، جامعة بيشة

ashik@ub.edu.sa

المستخلص. موضوع البحث: جهود الشيخ عبدالله البسام في خدمة السنة النبوية، وهو يهدف لإبراز جهود الشيخ في الحديث النبوي، والسيرة النبوية من خلال التأليف، ومن خلال التدريس في الحرم المكي، واتبعت منهج جمع المعلومات والتحليل لها من خلال الجهات التي سجلت صوتياً دروس الشيخ، ومن خلال كتبه المؤلفة، ومن خلال ملازمتي للشيخ فترة الدراسة عليه، وكان من أهم النتائج التعرف على جهود الشيخ المتنوعة، والتي تتمثل في المادة الكبيرة التي خلفها الشيخ، وطريقة شرح الشيخ، وأساليبه في تعليم الناس للسنة، وكذا اختيارات الشيخ العلمية الحديثية، وطريقة حكمه على الأحاديث في كتبه، وأوصي بتتبع تراث الشيخ الكثير والمهمل، وإعادة جمعه وترتيبه بطريقه صحيحة ومناسبة، ليُنتفع به، سواء المسموع أو المكتوب وبالله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: جهود، البسام، ترجمة، السنة، السيرة.

المقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد: فالعلماء هم" سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر

والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا"[١].

وتناولُ جهود العلماء في خدمة علوم الشريعة من أهم ما يكون، ومما يحفظ به جهود ورثة الأنبياء، كما أن في ذلك إحياء لذكرهم وعلمهم، وتربية للجيل بأن يسيروا على هدي علمائهم، وإن من العلماء الذين نفع الله بهم مدرساً في المسجد الحرام، ومؤلفاً، الشيخ العلامة الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن البسّام رحمه الله أحد كبار علماء المملكة العربية السعودية، لذا رأيت تناول "جهود الشيخ في خدمة السنة النبوية" على الخصوص.

أولاً: مشكلة البحث

الشيخ البسّام عالم فقيه، له جهوده واختياراته في الفقه، كما أن له جهوده في خدمة السنة النبوية، من خلال التدريس والتأليف، وبما أن الجانب الفقهي قد طرق في رسائل علمية جامعية تناولت اختيارات الشيخ الفقهية[٢]، فسأتناول جهود الشيخ عبدالله البسّام في خدمة السنة النبوية لاسيما الحديث والسيرة، حيث لم أجد من تناول هذا الجانب[٣]، وقد رأيت العلماء المعاصرين قد خدمت إسهاماتهم في جانب علوم الشريعة ، كالشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي[٤] والشيخ عبدالعزيز بن باز، وجهوده في السنة وغيرها[٥]رحمهما الله، وقرين الشيخ البسّام الشيخ محمد بن عثيمين حيث دُرست جهوده في خدمة التفسير، وكذا في خدمة السنة في ندوة كاملة ببحوثها[٦]، لذا رأيت خدمة جهوده في السنة النبوية في هذا البحث المتواضع، حيث رأيت أن الموضوع يكفي له بحث متوسط يفي بالغرض، *ويهدف لفتح الباب في هذا الجانب، ولفت النظر لجهود الشيخ المطبوعة والمسجلة حتى يستفاد منها، ويُطّلع عليها، وتحاط بمزيد من البحث والعناية.*

موضوع البحث

إبراز جهود العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسّام في خدمة السنة والسيرة من خلال أعمال التدريس في الحرم وغيره، ومن خلال مؤلفاته في هذا المجال، لتقريبها لطلبة العلم، وتسهيل الاقتداء به وأمثاله من العلماء.

حدود البحث

(١) أخلاق العلماء للآجري ص١٧.

(٢) هناك دراسات جامعية عديدة في سائر أبواب الفقه في اختيارات الشيخ البسام الفقهية في أقسام الفقه بالجامعات السعودية وغيرها، وانظر على سبيل المثال هذه الدراسة في اختيارات الشيخ عبدالله البسام الفقهية في البيع و الربا و السلم و القرض و الرهن، رقم التسجيلة: ٥٦٤٩٤٤، على الرابط التالي في موقع مكتبة الملك فهد الوطنية:
http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session=1N0654321792P.773801&profile=akfnl&uri=link=3100023@!564944@!3100006@!3100013&aspect=

(٣) وقد أكرمني الله بالدراسة على الشيخ في الحرم المكي، وأيضاً في الطائف فترة الصيف، وكان لي تواصل مباشر مع الشيخ رحمه الله، والكتابةُ عن جهود الشيخ في السُنّة من أقل حقوقه.

(٤) انظر اختيارات الشيخ عبدالرحمن السعدي في قضايا فقهية معاصرة ، موقع جامعة المجمعة، شؤون المكتبات
الرابط: **http://mufind.mu.edu.sa/Record/75554.**

(٥) من هذه البحوث المهمة بحث اهتمام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بالحديث النبوي وأثره في العقيدة، للدكتور علي الشبل على الرابط في موقع الألوكة:
https://www.alukah.net/sharia/0/5704/#ixzz6SalhRTaR.

(٦) انظر ندوة جهود الشيخ ابن عثيمين جامعة القصيم، على موقع الجامعة:
https://csi.qu.edu.sa/content/pages/249.

جهود شيخنا البسّام العلمية في السنة والسيرة النبوية على وجه الخصوص تدريساً وتأليفاً، بعيداً عن جهوده في الفقه وغيره من العلوم، كما أني سأركز جمع المادة على ما يتيسر من كلام الشيخ عن نفسه أو كتبه، ويكون ما لدي من تحليل وإضافات في الحدود المعقولة، دون توسع مراعاة لطبيعة البحث وحدوده.

أهداف البحث

١- التعرف على جهود الشيخ عبدالله البسّام وإبرازها لطلاب العلم والدارسين.

٢- تسهيل الوصول إلى إنتاج الشيخ العلمي المدون في الكتب، والصوتي ليسهل الحصول عليه.

٣- حفظ تراث العلماء من الاندثار، وحث طلبة العلم للنهل منه.

٤- التعرف على منهج الشيخ في التدريس والتأليف في جانب السنة والسيرة.

أهمية الموضوع

١- حاجة الناس والعامة إلى التعرف على علم وتراث العلماء المعاصرين.

٢- الشيخ الفقيه عبدالله البسّام من ضمن العلماء الذين جمعوا بين علوم متعددة، وتجارب كبرى، مع مخالطته للناس، فهو فقيه تلقى علمه من عالم كبير، هو الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، وكان هو والشيخ محمد العثيمين من المبرِزين بين طلاب الشيخ، ممن تميزوا بالذكاء والحفظ، وتلقي الكثير من العلوم وحفظ المتون، كما أن الشيخ قاض قديم، بل ورئيس هيئة التمييز إلى تقاعده، وعضو المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وعضو هيئة كبار العلماء، كل ذلك يعطي أهمية لعلم الشيخ رحمه الله.

٣- لدى الشيخ البسّام تركة علمية غنية في عدة علوم، حظيت السنة النبوية سواء في شروح الحديث أو في تدريس الحديث والسيرة في الحرم المكي بطرف منها؛ مما يستدعي التعرف على هذا الجانب.

٤- أهمية أن يتعرف طلاب العلم والباحثين في السنة على مناهج العلماء المعاصرين في التدريس، وفي التأليف ليحذوا حذوهم.

الدراسات السابقة للموضوع

تتبعت الدراسات السابقة في الكلام عن الشيخ عبدالله البسّام، فرأيتها تتركز في بحوث أكاديمية تتناول دراسة اختياراته الفقهية(٧)؛ بحكم بروزه في الفقه وتعمقه في تدريسه والتأليف فيه، وقدرته على الترجيح واجتهاده في مسائل النوازل المعاصرة، ولم أجد فيما وقفت عليه عبر الشبكة والمواقع العلمية من تناول جهود الشيخ في السنة والسيرة على وجه الخصوص.

منهج البحث

المنهج المتبع: منهج الجمع الاستقرائي التحليلي.

(٧) انظر ص١.

طريقة جمع المادة العلمية

عملت على تتبع تراث الشيخ عبدالله البسّام من خلال زيارة مكتبة الحرم المكي في المسجد الحرام، وكذا في بطحاء قريش، ومكتبة الحرم في المسجد النبوي، وكذا إذاعة مكة (نداء الإسلام)، وتعرفت على ما لديه من تراث صوتي مسجل في جانب الحديث والسيرة، ثم تتبعت المواقع والمكاتب الكترونية التي تناولت ما لدى الشيخ من مطبوع وصوتي، واستفدت منها فيما يخص حدود بحثي، وكانت المادة المسموعة سواء في المواقع على الشبكة، أو لدى مكتبة الحرم ونداء الإسلام محدودة وغير مرتبة، وللأسف تتركز في كتب الفقه، وفي مجموعة من المواعظ، ولم أجد بغيتي كما كنت أتوقع، وهناك جهود مباركة على الشبكة للعناية بجهود الشيخ، لكنها لازالت بحاجة لتبنّي مؤسسة خيرية على غرار جهود مؤسسة ابن عثيمين الخيرية للعناية بتراث الشيخ، وإعادة النظر في جمعه وترتيبه وإبرازه، أو قيام بعض الجهات العلمية بذلك.

منهج دراسة المادة

١- عملت على جمع المادة العلمية سواء المكتوبة أو المسموعة أو ما حضرته بنفسي آبان حياة الشيخ ووقت تدريسه في الحرم.

٢- قمت بترتيب المادة العلمية وتبويبها، ثم علمت على دراسة وتحليل المادة العلمية بما فتح الله علي، وعمل بعض المقارنات بين شرح الشيخ وشرح غيره بما يتناسب مع حجم البحث.

٣- إذا ورد ذكر حديث وكان الحديث بحاجة للتخريج فإني أخرجه من الصحيحين أو أحدهما وأكتفي بذلك في العزو ولا أتوسع، لا سيما عند عدم الحاجة، وإذا كان الحديث في خارجهما فإني أخرجه بالقدر الذي يكفي لبيان ضعفه أو صحته، ولأن البحث يرتكز على جهود الشيخ.

٤- وبما أن البحث يعتمد على ذكر جهود الشيخ والاستشهاد أحياناً من كتبه وكلامه، فإني اهتم بنقل ذلك ولا أتعرض لتخريج أو توثيق ما يرد في كلام الشيخ من مواقع؛ لأنه غير مقصود هنا، إلا عند الحاجة.

خطة البحث

وهي مكونه من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس:

المقدمة وفيها خطة البحث، وتشمل مشكلة البحث، وموضوعه، وحدوده، وأهدافه، وأهميته، والدارسات السابقة.

المبحث الأول: يتناول ترجمة الشيخ ومنهجه في كتابيه تيسير العلام وتوضيح الأحكام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الشيخ العلاّمة عبدالله البسّام رحمه الله وسيرته العلمية.

المطلب الثاني: منهجه بإيجاز في كتابه تيسير العلام.

المطلب الثالث: منهجه بإيجاز في كتابه توضيح الأحكام.

المبحث الثاني: ويتناول طرق تدريس الشيخ في الحرم المكي، وفيه مطالبان:

المطلب الأول: طريقة تدريس الشيخ للحديث في الحرم المكي.

المطلب الثاني: طريقة تدريس الشيخ للسيرة النبوية في الحرم المكي.

المبحث الثالث: جهوده في خدمة الكتب الحديثية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين كتاب الشيخ "توضيح الأحكام" و"سبل السلام" للإمام الصنعاني.

المطلب الثاني: مختلف الحديث لدى الشيخ البسّام.

المطلب الثالث: التعقيبات العلمية على كتاب تيسير العلاّم.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم نتائج البحث، وأهم التوصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعني وإخواني بهذا الجهد، وأن يسخرنا جميعاً لخدمة كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يسددنا للصواب، وأن يغفر لنا ولمشايخنا ولمن له حق علينا، وبالله التوفيق.

المبحث الأول: (ترجمة الشيخ ومنهجه في كتابيه تيسير العلام وتوضيح الأحكام)

المطلب الأول

ترجمة الشيخ العلاّمة عبدالله البسّام رحمه الله وسيرته العلمية(٨)

١) الشيخ هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسّام. وأسرة آل بسام من القبيلة الكبيرة الشهيرة (بني تميم)، وآل بسام من أشهر الأسرة النجدية في فعل الخير، وبذل الإحسان، فلها ذكر حسن، وسمعة طيبة في البلدان القريبة والبعيدة، فمواقفها في الإحسان مشهورة، وفي فعل الخير ظاهرة، وهي من أغنى الأسر، وأوسعها تجارة، فلها بيوتها التجارية الكبيرة في مدن الحجاز وبلدان الخليج والعراق والشام والهند وغيرها، وهذه البيوت مفتوحة للضيوف والزوار، حتى كسبت بذلك صيتاً ذائعاً وذكراً حميداً.

مولده ودراسته وشيوخه:

ولد الشيخ رحمه الله في مدينة عنيزة في القصيم عام ١٣٤٦هـ حيث تقيم أسرته، وبعد سن التمييز أدخله والده كتاتيب بلده، وأشهر كتَّاب دخله هو كتَّاب

---

(٨) رأيت أن أذكر ترجمة الشيخ هنا وافية من كلامه؛ لأنها أبلغ، وحتى يكون هذا البحث مرجعاً دائماً لسيرة الشيخ وجهوده في السنة النبوية.

الشيخ الداعية عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله تعالى، ثم شرع بالقراءة على والده، فأكمل عليه حفظ القرآن الكريم، وأخذ عنه – مع شقيقه الشيخ صالح – مبادئ علم الفقه بكتاب (أخصر المختصرات) ومبادئ علم النحو في (العمريطية نظم الأجرومية).

وكان والده مرجعاً في السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والأنساب والأخبار، ويحفظ من الأشعار والأخبار الشيء الكثير، فاستفاد منه في ذلك فوائد جليلة، وذلك أن مجالس أبيهما معهما عامرة بذكر قصص الأنبياء والسيرة النبوية والأخبار والأشعار.

وكان عند والده مكتبة طيبة استفاد منها كثيراً، قرأ فيها (تفسير ابن كثير) و(البداية والنهاية) و(أسد الغابة في أسماء الصحابة) و(العقد الفريد) و(مجمع الأمثال) وغيرها، كل هذا في سن الصبا.

ثم شرع بالقراءة على الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله تعالى مدة ثمان سنوات، قرأ عليه مع عموم الطلبة في التفسير، والحديث وأصوله، والتوحيد، والفقه وأصوله، والنحو والصرف، حتى أدرك في ذلك كله، مما جعل شيخه يصنفه من قراء (المنتهى) حينما جعل التلاميذ قسمين:

*بعضهم يقرأ في (المنتهى)

*وبعضهم يقتصر في (الروض المربع).

وحفظ أثناء قراءته على شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي:

١ – القرآن الكريم

٢ – بلوغ المرام

٣ – العمريطية نظم الورقات في أصول الفقه

٤ – مختصر المقنع في الفقه

٥ – قطر الندى في النحو

٦ – ألفية ابن مالك في النحو

كما قرأ في أثناء قراءته على الشيخ عبد الرحمن السعدي على كبار تلاميذه، منهم:

١ – الشيخ الفقيه سليمان بن إبراهيم البسّام

٢ – الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع

فالأول بالفقه، والثاني بالتوحيد والنحو ثم التحق بمدرسة دار التوحيد بالطائف، فوجد فيها كبار علماء الأزهر قد جلبهم إليها رئيسها العلامة الشيخ محمد ابن عبد العزيز بن مانع رحمه الله تعالى، فأكمل دراسته في العلوم الآتية:

١ – التفسير وأصوله، ٢– الحديث وأصوله، ٣– التوحيد بأنواعه الثلاثة، ٤– الفقه وأصوله، ٥– السيرة النبوية، ٦– التاريخ الإسلامي، ٧ – النحو، ٨– الصرف، ٩ – البلاغة، ١٠– تاريخ الأدب.

وكان من مشايخه في دار التوحيد:

الشيخ عبد الرزاق عفيفي والشيخ محمد حسين الذهبي، والشيخ إبراهيم عيسى والشيخ رياض هلال والشيخ محمد عبدالحليم والشيخ محمد أبو سياد، والشيخ محمد قنديل.

٨ – الشيخ عبد الله بن صالح الخليفي. واغتنم الشيخ عبد الله البسّام وجود هؤلاء العلماء الكبار، فكان يلاحقهم بالأسئلة والاستفسارات، ويأتيهم في بيوتهم في غير وقت الدراسة للأخذ عنهم، حتى استفاد منهم كل في مجاله وما تخصص به. ثم التحق بكلية الشريعة في مكة المكرمة، فزاد اهتمامه لقربه من المسجد الحرام، وحلقات الدروس فيه، فصار يتردد بين مشايخه في الكلية، وبين حلقات الدروس في المسجد الحرام.

فكان من مشايخه في الكلية:

١ – المفسر الكبير الشيخ إبراهيم زيدان

٢ – الأصولي المطلع الشيخ علي جبر

٣ – السلفي المحقق محمد خليل هراس

٤ – النحوي الكبير عبد الخالق عظيمة

٥ – العلامة اللغوي النحوي يوسف الضبع

وغيرهم من كبار العلماء في العلوم الشرعية والأصولية والعربية والأدبية.

فحرص –رحمه الله– منذ صباه بحب مجالسة العقلاء المسنين المطلعين فكان ممن أطال صحبتهم، وأكثر من مجالستهم، والاستفادة منهم بالتاريخ والأنساب والأخبار:

١ – الشيخ السلفي محمد حسين نصيف وجيه الحجاز.

٢ – معالي الشيخ محمد سرور الصبان

٣ – المؤرخ محمد بن إبراهيم بن معتق

٤ – الراوية محمد بن علي العبيد

٥ – الشيخ إبراهيم المحمد البسّام

٦ – الوجيه إبراهيم العبد الرحمن البسّام

٧ – الشيخ محمد الصالح البسّام – عم الشيخ عبد الله

٨ – الشيخ سليمان الصالح البسّام – عم الشيخ عبد الله

٩ – الشيخ عبد الرحمن الصالح البسّام – عم الشيخ عبد الله

١٠– الشيخ عبد العزيز المحمد السليمان البسّام – أحد أقاربه

وكل هؤلاء من حفظة التاريخ والأنساب والأخبار إلى ثقة تامة في نقل الأخبار والسير وعدم التحيز. وفي عام ١٣٧٤ للهجرة تخرج الشيخ عبد الله – رحمه الله– من كلية الشريعة، وعين قاضياً في المحكمة المستعجلة الثالثة، وقوة المجاهدين بمكة المكرمة، واستمر فيها حتى عين رئيساً للمحكمة الكبرى بالطائف، واستمر فيها حتى عين قاضي تمييز في محكمة تمييز الأحكام الشرعية للمنطقة الغربية ، وفي عام ١٤١٠ للهجرة عين رئيساً لمحكمة التمييز، [وبعد ذلك عين في هيئة كبار العلماء]. أهم الأعمال التي شغلها(٩):

(٩) انظر موقع مداد للمحمود (**https://midad.com/article/203796**).

– رئيساً للمحكمة الكبرى بالطائف، عام ١٣٨٧هـ بأمر من الشيخ محمد بن إبراهيم

– رئيساً لمحكمة التمييز بمكة المكرمة ١٤٠٠هـ، وقام بها حتى تمت مدة عمله النظامي، ثم مدد له سنة، ثم تقاعد عام ١٤١٧هـ.

– عضو مجلس هيئة كبار العلماء ابتداء من عام١٤٠٧هـ إلى قبل وفاته.

– مدرس في المسجد الحرام، فمارس التدريس بالحرم منذ عام ١٣٧٢هـ إلى ١٤١٧هـ لم تنقطع دروسه إلا مدة رئاسته لمحكمة الطائف ثلاث سنوات أو إجازات يقضيها خارج مكة وكانت حلقات درسه بين المغرب والعشاء.

–عضو في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي.

–عضو في مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

–عضو في المجلس الأعلى لدار الحديث بمكة المكرمة.

–عضو في هيئة المراقبة الشرعية في الإغاثة الإسلامية العالمية

–عضو في هيئة المراقبة الشرعية في شركة الراجحي للاستثمار

–رئيس المشروع الخيري للزواج بمكة المكرمة

–عضو في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي

–عضو في مجمع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة

نشاطات الشيخ –رحمه الله– في الدعوة

مثّل المملكة العربية السعودية، ورابطة العالم الإسلامي في عدة مؤتمرات وندوات ودعوات في كل من بلدان:

١–آسيا .٢– أفريقيا .٣– أوروبا .٤– أستراليا.

مؤلفات الشيخ –رحمه الله

١ – مجموعة محاضرات وبحوث ألقاها في مواسم رابطة العالم الإسلامي وغيرها من المجامع العلمية والفقهية.

٢ – تقنين الشريعة: آثاره ومضاره

٣ – شرح على كشف الشبهات

٤ – حاشية على (عمدة الفقه) للموفق

٥ – تيسير العلام شرح عمدة الأحكام

٦ – نيل المآرب تهذيب عمدة الراغب

٧ – الاختيارات الجلية في المسائل الخلافية

٨ – توضيح الأحكام من بلوغ المرام

٩ – علماء نجد خلال ثمانية قرون

١٠– أنساب القبائل العربية (مخطوط)

أخلاق الشيخ[١٠]:

(١٠) سأحكي هنا ما رأيته ولمسته من الشيخ خلال حضور دروسه في الحرم وفي الطائف في فترة الصيف.

الشيخ عبدالله رجل متواضع وبسيط، ومن يراه وهو لا يعرفه لا يظنه من العلماء الكبار أو ممن لهم شأن، فهو يبسط جناحه للصغير والكبير والقوي والضعيف، وعندما يشكل على بعض الناس أو العامة مشكلة فقهية، أو مشكلة في الطلاق كنا نأتي به للشيخ عند مسجده القريب من بيته ويفتيه، ومع ثراء الشيخ حيث إنه من العائلة التجارية الثرية عائلة البسّام، إلا إن الشيخ كان يعطي دروساً في التواضع لطلابه، فكان يقف بسيارته في المواقف الخاصة بالعلماء وكبار الشخصيات في مواقف القصر الملكي المجاورة للحرم، وبعد انتهاء الدرس يحمل الطلبة معه في سيارته سواء من السعوديين أو من غيرهم، وبعضهم من ذوي الاعاقة ومن الفقراء يوصلهم لأماكنهم، وكان لذلك تأثير في نفوس طلابه ومحبيه، في المقابل يأتي الشيخ لبعض دروسه أو محاضراته خاصة خارج الحرم مع بعض طلابه في سياراتهم المتواضعة.

كما أن الشيخ يلبي رغبات طلابه، فقد اجتمع مجموعة من أفاضل الطلاب، ومعهم بعض أئمة الحرم فطلبوا درساً فقهياً خاصاً لكبار الطلبة، ومتقدماً في كتاب منتهى الإرادات في المذهب الحنبلي، فخصص لهم الشيخ وقتاً للدرس في المسجد المجاور لبيته في حي الشرائع[١١].

أسلوب الشيخ في شرح الدروس الصوتية في الحرم وغيره

الشيخ حباه الله بالصوت الجهوري الرنان، ولذلك تجد لأسلوب الشيخ في الإلقاء تأثيراً وجاذبيه، فهو يطبق أساليب التأثير والجذب للسامعين بطريقة تشد الانتباه وتمنع الملل، وهو يراوح في صوته بين الخفض والرفع، ويغير في النغم، ولا يسير على وتيرة واحدة كأسلوب بعض الخطباء الرتيب الممل، فيلقي الدرس بأسلوب سهل وبسيط يفهمه العامة قبل الخاصة وطلاب العلم، وإذا كانت مسائل فقهية فإنه يقربها ويسهل فهمها، ويبدع في تصوير المسائل، والتمثيل لها على الواقع حتى يفهم السامع، ويرتبط الأمر لديه بالحس والواقع، *وكان الشيخ أحياناً يتوقف ويلقي سؤالاً أو إشكالاً على الطلاب ليحرك أذهانهم وينشط أفهامهم، ثم يستمع إلى الأجوبة*، ناهيك عن قدرة الشيخ الفقهية، وبراعته في الإجابة على أدق إشكالات الزاد وشرحه الروض المربع في الفقه الحنبلي، حتى يظن السائل من أذكياء الطلبة أن الشيخ قد يعجز عن إيضاح بعض المسائل الصعبة التي تعرض له، أو الجواب عليها، فيتفاجأ برد الشيخ العجيب.

توفي الشيخ في ضحى يوم الخميس الموافق ١٤٢٣/١١/٢٧هـ إثر سكتة قلبية، وصُلي على الشيخ في مسجد الحرم بمكة المكرمة بعد صلاة الجمعة.

---

(١١) أخبرني بذلك بعض طلاب الشيخ ممن طلبوا الدرس وقتها.

فرحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جناته[١٢].

المطلب الثاني

منهجه بإيجاز في كتابه تيسير العلام

كما قدّمت سأعتمد ابتداءً ما يقوله الشيخ عن نفسه ومن كتبه بالدرجة الأولى؛ لأنها أبلغ ما يكون في وصف إنتاج الشيخ رحمه الله، وحتى يحفظ هذا التراث من كلامه بشكل مستقل.

ولننقل ما أبانه الشيخ عن منهجه في شرح العمدة، قال: "فإن هذه (العمدة) نخبة منتقاة من أصح آثار النبي صلى الله عليه وسلم، وهما الكتابان الجليلان "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم"، فقد اختارهما المؤلف رحمه الله منهما، ورتبهما حسب تبويب الفقهاء في كتب الفروع، لتكون عوناً لمن حفظها وتأملها على أخذ المسائل من أدلتها الصحيحة، فإنها أصول وقواعد، يرجع إليها المنتهي، وسُلَّمٌ يصعد به المبتدئ إلى دواوين الإسلام المأثورة عن خير الأنام.

وقد حظيت من العلماء بشروح وخدمة، ولكن لم يُقَدَّر – حتى الآن – لشيء من تلك الشروح أن تنشر للناس، ولا نعلم: أما تزال محفوظة، أم أتت عليها حوادث الزمان[١٣] عدا شرح العلامة المجتهد ابن دقيق العيد ، المتداول بين الناس.

وهذا الشرح – على جلالة قدر صاحبه – وعظيم فائدته في نهجه، (وهو تفريع المسائل على الضوابط والقواعد الأصولية) فإن عنايته بهذه البحوث شغلته عن كثير من دقائق فقه الحديث والأحكام المطلوبة، وتوضيح ما تعارضت فيه الآراء.

ومع هذا فإن طبيعة البحوث التي تصدى لها المؤلف غامضة متينة، ترتفع على أفهام كثير من طلاب العلم، ومريدي المعرفة، لذا، فإني استعنت بالله تعالى على وضع شرح سهل الأسلوب، قريب المأخذ، مفصل المواضيع، لئلا تتداخل مسائله، وتختلط بحوثه، فيورث الحيرة والارتباك.

فتكلمت أولاً: على المعنى الإجمالي متحرياً مطابقة ظاهر اللفظ، ومبيناً في ذلك ما طوي تحت الألفاظ من حكمة وتشريع، أو توطئة وتمهيد، وغير ذلك مما توحيه الجمل والألفاظ.

وإذا احتاج المقام إلى توضيحه من بعض طرق الحديث التي لم يوردها المؤلف، أجملتها معه، منبهاً على ذلك، لتتم الفائدة، ويستقيم البحث.

ثم أستخرج من الحديث ما يدل عليه من الأحكام والآداب، ثم أذكر ما قوي من خلاف العلماء، مع ذكر أدلتهم ومآخذهم، معرضاً عن ضعيف الخلاف، الذي لا يستند إلى أدلة قوية، لئلا يقع القارئ في بلبلة فكر لا داعي إليها.

وحرصت على بيان حكمة التشريع وجمال الإسلام وسُمُوِّ أهدافه، وجليل مقاصده، من وراء هذه

---

(١٢) انظر ترجمة الشيخ بقلمه في مقدمة كتابه تيسير العلام ٩/١-١٤، وهناك إضافات مما عرفناه عن الشيخ تلك الحقبة، اقتضت الأمانة العلمية ذكرها كما هي.

(١٣) الشيخ يحكي عند أول تأليفه للكتاب ثم بعد ذلك طبعت شروح عديدة كما سيأتي قريباً.

النصوص، ليقف القارئ على محاسن دينه، وشريف أغراضه ويعلم أنه دين ودول، كي لا تؤثر فيه الدعاوى الباطلة ضد الإسلام ومبادئه السامية.

فإنه مع الأسف يوجد كثير من مدّعي الإسلام ، أغرتهم وغرتهم هذه الحضارة الغربية الزائفة فلا يرفعون لهذه الأحكام الإسلامية والآداب المحمدية رأساً ، ويرون أنها عقبة في سبيل التقدم، ولو سألتهم عن حجتهم ، ما وجدتها إلا كحجة الذين قالوا: ﴿إِنّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٣]، فليس لهم مستند على دعواهم الزائفة إلا نقيق[١٤] أعداء الدين من الغربيين.

فأسأل الله تعالى أن ينفع به، ليكون تذكرة للمنتهي، وتبصرة للمبتدئ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، مقربا إليه في دار النعيم آمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين"[١٥].

وإذا أتينا لمعرفة منهج الشيخ من خلال ما رسمه في المقدمة، ومن خلال قراءة الكتاب، فنلاحظ ما يلي:

١- ذكر الشيخ جلالة كتاب عمد الأحكام، المستخلص من الصحيحين، وأبان أنه عُني بشرح العلماء فقال: (وقد حظيت من العلماء بشروح وخدمة، ولكن لم يُقَدَّر - حتى الآن - لشيء من تلك الشروح أن تنشر للناس، ولا نعلم: أما تزال محفوظة، أم أتت عليها حوادث الزمان..) وكلام الشيخ بناء على أول أيام تأليفه للكتاب وإلا فقد خرجت بعد ذلك بعض الشروح القديمة، وخُدمت، مثل الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن سراج الدين عمر ابن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)[١٦]، وكتاب النكت على العمدة، تأليف بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ[١٧]، وكتاب حاشية الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني على العدة[١٨]، واستثنى الشيخ شرح ابن دقيق العيد المطبوع؛ لكونه يناسب طائفة من الطلبة المتقدمين علماً وفقهاً وأصولاً، لاسيما في عصره، لذا رأى الشيخ أن يقدم شرحاً يناسب حاجة طلاب العصر.

٢- أبان الشيخ أنه اعتمد بساطة الشرح؛ ليسْهل مأخذه لطلاب العلم صغارهم وكبارهم، ولذا قال: "فإني استعنت بالله تعالى على وضع شرح سهل الأسلوب، قريب المأخذ"، وهذا ملاحظ في عموم الكتاب، ومن خلال تدريسي للكتاب لسنوات لمست سهولته للأستاذ وللطالب.

٣- قال الشيخ: "مفصلاً المواضيع، لئلا تتداخل مسائله، وتختلط بحوثه، فيورث الحيرة والارتباك، فتكلمت أولاً على المعنى الإجمالي متحرياً مطابقة

(١٤) "النقيق: صوت الضفدع، فإذا رجع صوته قيل: نقنق" كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١١٠/٥.

(١٥) تيسير العلام ١٥/١-١٧.

(١٦) (المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ١١).

(١٧) (قدم له عبد الله بن عبد الرحمن السعد؛ وحققه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الرشد بالرياض،٢٠٠٢م).

(١٨) (الناشر: المكتبة السلفية، سنة النشر: ١٤٠٩ - ١٩٨٨ الطبعة:٢).

ظاهر اللفظ، ومبيناً في ذلك ما طوي تحت الألفاظ من حكمة وتشريع، أو توطئة وتمهيد، وغير ذلك مما توجيه الجمل والألفاظ"، **أقول:** من خلال النظر في أول حديث، وهو حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات)[١٩] نلحظ ما قاله الشيخ جلياً، فقد بدأ الشيخ كعادته بذكر غريب الحديث بإيجاز[٢٠] ثم ذكر المعنى الاجمالي، وبدأ بذكر مكانة الحديث وجلالته فقال: (هذا حديث عظيم وقاعدة جليلة من قواعد الإسلام، هي القياس الصحيح لوزن الأعمال، من حيث القبول وعدمه، ومن حيث كثرة الثواب وقلته..) إلى آخر ما ذكر من كلام نفيس، ثم شرع في شرح الحديث وضمنه المسائل المهمة في النية، ومن ذلك تميز العبادة عن العادة وضرب الأمثلة، ثم ذكر فوائد الحديث المتضمنة لمسائل أيضاً، ثم ختم شرح الحديث بفائدة مهمة في تقسيم العمل لغير الله من كلام ابن رجب.

٤- وقال الشيخ أيضاً: "وإذا احتاج المقام إلى توضيحه من بعض طرق الحديث التي لم يوردها المؤلف، أجملتها معه، منبهاً على ذلك، لتتم الفائدة، ويستقيم البحث"، وهذا ملاحظ في معظم الكتاب من أوله إلى آخره، فالشيخ يسلك طريقين في الحديث الذي يورده ابن حجر في الباب ويخرجه بإيجاز، فإما أن يكون الحديث له طرق أو فيه علل فيفيض الشيخ البسّام في الكلام عليه، وينقل رأي كبار أئمة الحديث والعلل فيه كما في حديث القلتين[٢١]، وإما إن يكون صحيحاً أو ضعيفاً ويختصر ابن حجر الكلام فيه، فيورد الشيخ كلاماً إضافياً للنقاد في الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً، أو يشير أن الحديث ضعيف كما ذكر ابن حجر مثلاً، وأن هناك رواية موقوفة هي الأصح، فيضيف فائدة للقارئ[٢٢].

٥- "ثم أستخرج من الحديث ما يدل عليه من الأحكام والآداب، ثم أذكر ما قوي من خلاف العلماء، مع ذكر أدلتهم ومآخذهم، معرضاً عن ضعيف الخلاف، الذي لا يستند إلى أدلة قوية، لئلا يقع القارئ في بلبلة فكر لا داعي إليها"، والشيخ هنا أبان أنه يعرض عن الخلاف الضعيف على حد قول ابن الحصّار:

وما سوى ذاك مكـــي تنزله ... فلاتكن من خلاف الناس في حصري

فليس كل خلافٍ جاء معتبراً ... إلا خلاف له حظ من النظر[٢٣]

.... ولو استعرضنا ما قاله الشيخ في شرح الحديث السادس في ولوغ الكلب في الإناء[٢٤] فقد ذكر بعد المعنى الاجمالي اختلاف الحديث، واختصر الكلام فقال: "اختلاف العلماء: هناك خلافات للعلماء في

---

(١٩) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٦) برقم: (١) (بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله)، ومسلم في "صحيحه" (٦ / ٤٨) برقم: (١٩٠٧) (كتاب الإمارة ، باب قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما الأعمال بالنية).

(٢٠) تيسير العلام١/٢١-٢٢.

(٢١) تيسير العلام الحديث رقم٤، ١/١٢١-١٢٢.

(٢٢) تيسير العلام الحديث رقم١، ١/١١٥، والحديث رقم١١، ١/١٤٤.

(٢٣) لم أقف على كتابه، لكن نقله السيوطي في الإتقان في علوم القرآن١/١١١ .

(٢٤) تيسير العلام ١/٣٣.

أشياء، منها: هل يجب التسبيع والتتريب؟ ولما كان القول الحق، هو ما يستفاد من هذا الحديث الصحيح الواضح، ضربنا عن الإطالة بذكرها صفَحاً؛ لأنها لا تعتمد على أدلة صحيحة واضحة".

٦- قال: "وحرصت على بيان حكمة التشريع وجمال الإسلام وسُمُوِّ أهدافه، وجليل مقاصده، من وراء هذه النصوص، ليقف القارئ على محاسن دينه، وشريف أغراضه، ويعلم أنه دين ودولة، كي لا تؤثر فيه الدعاوى الباطلة ضد الإسلام ومبادئه السامية"، ومن الأمثلة على ما ذكر قوله: (بينما ذهب النووي - وهو المشهور من مذهب الشافعي - إلى أنه لا يقوم مقام التراب الأشنان ولا الصابون ولا غيرهما من المنقيات علي الأصح، قلت: وقد ظهر في البحوث العلمية الحديثة أنه يحصل من التراب إنقاء لهذه النجاسة ما لا يحصل من غيره، وإن صح هذا فإنه يظهر إحدى معجزات الشرع الشريف ولفظ (عَفِّروه) يُؤَيّد اختصاص التراب؛ لأن العفر لغة هو: وجه الأرض والتراب"[٢٥]، أيضاً ذكر الشيخ في بيان حكمة التشريع وجمال الإسلام في الفائدة السادسة ما نصه: "عظمة هذه الشريعة المطهرة، وأنها تنزيل من حكيم خبير، وأن مؤُديها صلوات الله عليه لم ينطق عن الهوى، وذلك أن بعض العلماء حار في حكمة هذا التغليظ في هذه النجاسة، مع أنه يوجد ما هو مثلها غلظة، ولم يشدد في التطهير منها، حتى قال فريق من العلماء: إن التطهير على هذه الكيفية من ولوغ الكلب تعبدي لا تعقل حكمته، حتى جاء الطب الحديث باكتشافاته ومكبراته، فأثبت أن في لعاب الكلب مكروبات وأمراضاً فتاكة، لا يزيلها الماء وحده، فسبحان العليم الخبير، وهنيئاً للموقنين، وويلا للجاحدين، فإنه مع الأسف يوجد كثير من مدّعي الإسلام، أغرتهم وغرتهم هذه الحضارة الغربية الزائفة، فلا يرفعون لهذه الأحكام الإسلامية والآداب المحمدية رأساً، ويرون أنها عقبة في سبيل التقدم"[٢٦].

ويتلخص لنا الميزات التالية للشرح:

١. أنه من عالم فقيه متمكن في المذهب الحنبلي، ومدرّس ممارس له لسنوات طويلة، وعالم بالخلاف.

٢. سهولة وبساطة أسلوب الشيخ؛ ليقرب العلم للعامة، وقد تحصل على هذا الجانب من طريق شيخه الشيخ عبدالرحمن السعدي، وأيضا من خلال تدريسه الشفهي لكتب الفقه والحديث في الحرم المكي وغيره.

٣. لابد أن يعين القول الراجح، ولا يحير القارئ والطالب.

٤. يركّز على اختيارات وترجيحات المحققين ويعطي رأيه.

٥. في النوازل يعطي رأي المجمع الفقهي، وهيئة كبار العلماء.

---

(٢٥) تيسير العلام٣٣/١.

(٢٦) تيسير العلام٤٣/١.

٦. مما لا تجده في كتب المتقدمين أن الشيخ يفصّل بعض القضايا، ويربطها بالواقع ليمكن تطبيقها، فقد ذكر الشيخ مقدار زكاة النقدين في العملة الحاضرة، فقال: "نصاب الذهب عشرون مثقالاً إسلامياً، والمثقال وثلثا المثقال بوزن جنية إنجليزي أو جنيه سعودي، فيكون نصاب الذهب فيهما اثني عشر جنيهاً سعودياً أو انجليزياً؛ لأن وزنهما واحد، ونصاب الفضة مئتا درهم، وبالريال الفرنسي اثنان وعشرون ريالاً، وبالريال العربي السعودي خمسة وخمسون ريالاً"(٢٧).

٧. يُضمّن الشرح أبلغ التقسيمات والفوائد التي تضمنتها شروح العلماء لهذا الحديث، وينقلها مختصرة مقرّبة للقارئ.

٨. أحياناً يستشهد الشيخ في عرضه للمسائل وشرحها بالقواعد الفقهية والأصولية، قال رحمه الله: "فعموم هذا الحديث يدل على أنه لا بأس أن يكون الذي اشترى منه التمر الرديء بدراهمه هو الذي باع عليه التمر الطيب فعادت دراهمه إليه، لأنه لم يستفصل، وعند الاصوليين (أن ترك الاستفصال في مقام الاحتمال ينزل منزلة العموم في المقال(٢٨))"(٢٩).

٩. يذكر اختيارات الحنابلة من المتقدمين والمتأخرين، فيذكر اختيارات ابن تيمية وابن القيم وصاحب الفائق، وشيخه السعدي، والشيخ عبدالله أبا بطين مفتي الديار النجدية في وقته(٣٠).

١٠. يورد في بعض المسائل التطبيقات الإجرائية في المحاكم السعودية، فقد قال في مسألة (بيع الوقف إذا تعطلت منافعه): "وهذا هو الجاري في محاكم المملكة، فإنه لا يباع وقف إلا بإذن من الحاكم الشرعي، بل حتى تطلع هيئة القضاء في محكمة التمييز على حكم القاضي وتراه موافقاً للوجهة الشرعية، فتجيزه، وبدون هذا فإن الوقف لا يُتَصرف فيه بما ينقل الملك"(٣١).

١١. يذكر معلومات مهمة عن المواقع مبنية على النزول الميداني، قال: "وقد قمت بشهر محرم في عام ١٤٠٢هـ من مكة المكرمة إلى هذا الميقات ومعي الشريف: محمد بن فوزان الحارثي وهو من العارفين بتلك المنطقة، ومن المطلعين على التاريخ وقصدي بحث طريق الحج من الضريبة إلى مكة على الإبل، فوجدت الميقات المذكور شعباً بين هضاب طوله من الشرق إلى الغرب ثلاثة أكيال وعرضه من الجنوب إلى الشمال نصف كيلاً ويحده من جانبيه الشمالي والجنوبي هضابه، ويحده من الشرق – ريع انخل- ويحده من الغرب وادي الضريبة الذي يصب في وادي مرّ، ويعتبر هذا الميقات من الحجاز، فلا هو من نجد ولا من تهامة، ولكنه حجاز منخفض يكاد يكون حرة فليس فيه جبال

(٢٧) تيسير العلام٣٨٢/١.

(٢٨) انظر مختصر التحرير شرح الكوكب المنير ١٧١/٣.

(٢٩) تيسير العلام٥٠٣/١.

(٣٠) انظر تيسير العلام٣١٩/٢.

(٣١) تيسير العلام٢٥٨/١.

عالية. ويقع عنه شرقاً بنحو عشرة أكيال وادي العقيق ثم يلي العقيق شرقاً . صحراء ركبة- الواسعة حيث تبتدئ بلاد نجد. ويحرم من العقيق-الشيعة- مخالفة لعمر رضي الله عنه الذي جعل ذات عرق ميقاتاً"[٣٢].

١٢.يذكر أحياناً قرارات المجالس الفقهية، ومنها مجلس هيئة كبار العلماء، قال الشيخ في المواقيت: "جاء في قرار مجلس كبار العلماء رقم ٥٧٣٠ تاريخ ١٣٩٩/١٠/٢١هـ وهو ما خلاصته: بعث الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية، والشئون الدينية بقطر إلى الملك خالد ابن عبد العزيز آل سعود رسالة تتضمن جواز جعل جدة ميقاتاً لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية. وقد أحيلت إلى المجلس فاستعرض تلك الفتوى وأصدر ما يلي: أن المجلس بعد دراسة الأمور التي وردت في الرسالة يرى أن المسوغات التي استند إليها مردودة بالنصوص الشرعية وإجماع سلف الأمة"[٣٣].

المطلب الثالث منهجه بإيجاز في كتابه توضيح الأحكام

صلة الفقيه البسّام ببلوغ المرام:

فقال هو عن نفسه: "كان شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي -رحمه الله تعالى- يدرِّس فيه في مكتبة جامع عنيزة، وقلَّ أن يخلو وقت وليس في هذا الكتاب دَرْسٌ: إما درس خاصٌّ لطلاب العلم، أو عامٌّ لجماعة "الجامع"، وكنت أحد الطلاب عليه رحمه الله، وكان يحثُّنا على حفظ بلوغ المرام، فكنت أحد من حفظ الكتاب ولله الحمد، وكنت أكرِّر أحاديثه خشيةَ النسيان، وأراجع على معانيه شرحه "سبل السلام"، وهذا الحفظ والاستذكار والمراجعة فيما بين (١٣٦٢ هـ) إلى (١٣٦٧ هـ) ثم التحقْتُ بدار التوحيد بالطائف، فوجدتُّ الكتاب مقرَّرًا في فصولها، ومقسَّمًا على سِنِي الدراسة، وكان يدرِّسنا فيه مبعوث الأزهر الشيخ محمَّد عبد الحكيم، ثمَّ لمَّا تخرَّجْتُ في كلية الشريعة بمكة المكرمة عام (١٣٧٤هـ) صرت -مع القضاء- مدرِّسًا في المسجد الحرام، ففتحتُ به درسًا بعد صلاة..." [٣٤].

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب عدة طبعات، وكانت الطبعة الأولى طبعة تكثر فيها الأخطاء المطبعية، ثم أتت الطبعة الثانية وكانت أكثر جمالاً وتنسيقاً وتلافياً للأخطاء الفادحة في الطبعة الأولى، ثم كانت الطبعة الأخيرة قبل موت الشيخ رحمه الله، وكانت أجود وأكمل الطبعات، حيث أضاف الشيخ إضافات كثرة وفوائد، كما سأنقل عنه فيما يلي، ثم توالت الطبعات بعد التعديل الأخير.

استدراكات وزيادات الشيخ في الطبعة الأخيرة:

---

(٣٢) تيسير العلام١/٣٦٣.

(٣٣) تيسير العلام١/٣٦٢.

(٣٤) توضيح الأحكام١/٢٣.

قال رحمه الله: "وقد كان مني في هذه الطبعة ...فاستدركت:

أولًا: ما فاتنا من أخطاء مطبعية وقعت في الطبعات الأولى.

ثانيًا: زدت فيها زيادات كثيرة هامة، وفوائد فقهية غالية، ميَّزت هذه الطبعة عن سابقتها تمييزًا بيّنًا.

ثالثًا: زدت في تخريج أكثر الأحاديث، مع تحقيقٍ أكثَرَ في بيان درجة الحديث.

رابعًا: زدت كثيرًا في شرح المفردات من الناحية اللغوية والصرفية والنحوية والعلمية، وتحديدٍ أكثرَ للمواضع.

خامسًا: وصلتني قرارات المجمَّع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدَّة، وقرارات هيئة كبار العلماء، وقرارات المجمَّع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، حتى هذا العام (١٤٢١ هـ)، منذ تأسيسه، فألحقت كل قرار بالمكان الذي يناسبه من أبواب ومسائل الكتاب.

وهي قرارات هامة جدًّا بحثها نخبة مختارة من علماء المسلمين في القضايا المعاصرة، والقضايا المتقدِّمة التي تحتاج إلى فحص وتمحيص، حيث خرج منها المجمَّع برأي واحد فيها.

سادسًا: أجريت بعض التغيير والتقديم والتأخير لعبارات وفقرات في الكتاب مما زاده حسنًا وفضلاً.

سابعًا: وضعت المتن وهو "أحاديث بلوغ المرام" بأعلى الصحائف، مكتوبة بحرف متميز بلونه وحجمه وضبطه.

وبالجملة: فإنَّ القارئ الكريم سيرى –إن شاء الله تعالى– فرقًا كبيرًا واضحاً بين هذه الطبعة الخامِسَة، وبين سابقتها، عسى بذلك أن تكون ملائمة لمقام هذا الكتاب الذي هو شرح لكتاب عظيم إلا وهو كتاب بلوغ المرام" (٣٥).

مقدمة علمية كمدخل للكتاب:

بدأ الشيخ البسّام كتاب توضيح الأحكام بمقدمة تصلح كتيباً مستقلاً بعنوان [الإلمام في أصول الأحكام] وقال في مقدمته: "فإنَّ من تصدَّى لاستنباط الأحكام الشرعية من مصدرها الأول "الكتاب والسنة"، أو كان يتلقى تلك الأحكام ممن يأخذها من هذا المصدر، ويمعن نظره فيها، ويختار منها ما رأى أنَّه أقرب إلى الصواب، فإنَّ عليه أن يكون ذا إلمام بالأصول الأربعة:

١– مصطلح الحديث. ٢– أصول الفقه. ٣– القواعد الفقهية. ٤– المقاصد الشرعية.

فيعرف بالأصل الأول: الحديث الذي يصلح الاعتماد عليه والاحتجاج به. ويفهم بالأصل الثاني: أدلة الأحكام الفرعية المتعلقة بأفعال المكلفين.

(٣٥) توضيح الاحكام: (٣/١-٥).

ويجمع بالأصل الثالث: شتات المسائل بهذه القواعد التي تضبط أفرادها، وتربط فرائدها عن التشتت والانتشار.

ويعرف بالأصل الرابع: أسرار الشريعة ومقاصدها، وما تتوخَّاه من جلب المصالح ودرءِ المفاسد.

لذا فإني جعلت بين يدي شرحي على بلوغ المرام هذه المقدمات الأربع، لتكون أمام قارئ هذا الشرح، فتريه كيف أخذت الأحكام من أصولها، واستنبطت المسائل من مصدرها؛ فيدرك طرق الاستنباط وسبل السير إلى الاجتهاد؛ فإنَّ إدراكه ذلك يزيده طمأنينة إلى صحة الحكم ويدربه على الإقدام إلى أخذ المسائل من أصولها، ولتكون هذه المقدمات بداية الطريق في سلوك باب الترجيح بين المسائل المتعارضة، والاجتهاد في إصابة الحق في الأحكام المختلفة"[٣٦].

وذكر الشيخ رحمه الله بعض الشروح التي اطلع عليها لبلوغ المرام، ومنها:

١ – البدر التمام؛ للشيخ الحسين بن محمد المغربي الصنعاني، ولا يزال مخطوطًا، رأيته عند إبراهيم النوري، وعندي صورة منه[٣٧].

٢ – سبل السلام؛ للشيخ محمَّد بن إسماعيل الصنعاني، اختصره من البدر التمام، وقد طُبعَ عدة طبعات، وهو الشرح المتداوَلُ لبلوغ المرام[٣٨].

٣ – فتح العلَّام؛ للشيخ محمَّد صِدِّيق بن حسن خان، مختصر من سبل السلام، وقد طُبِعَ، وكانت نسخه قليلة، ولكنه صوِّر فانتشر[٣٩].

٤ – شرح السيد محمد بن يوسف الأهدل، قال السيد أمين كتبي: إنه رآه في مكتبة الشيخ عمر حمدان[٤٠].

٥ – شرح الشيخ أحمد الدهلوي، انتخبه من فتح الباري وعدة مصادر أُخر[٤١].

٦ – شرح الشيخ محمَّد عابد الأنصاري الحنفي نزيل المدينة المنوَّرة، جاء ذكره في ذيل كشف الظنون[٤٢].

٧ – شرح الشيخ محمَّد علي أحمدين المدرِّس المنتدَب من مصر للتدريس في المعهد السعودي بمكة المكرمة، ولا يزال مخطوطًا[٤٣].

---

(٣٦) توضيح الاحكام: (٦/١-٧).

(٣٧) الكتاب مطبوع، واسمه البدرُ التمام شرح بلوغ المرام، المؤلف: الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (المتوفى: ١١١٩ هـ) المحقق: علي بن عبد الله الزبن الناشر: دار هجر الطبعة: الأولى جـ ١ - ٢ (١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م) جـ ٣ - ٥ (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) جـ ٦ - ١٠ (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) عدد الأجزاء: ١٠ .

(٣٨) من أفضل طبعاته طبعة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع في الدمام بتعليق وتحقيق وتخريج الشيخ محمد صبحي حلاق . في ثمان مجلدات، طبع مراراً.

(٣٩) طبع في المطبعة الأميرية في بولاق بمصر الطبعة الأولى سنة (١٣٠٢هـ) وصورته دار صادر في بيروت بعد ذلك دون تاريخ.

(٤٠) اسمه إفهام الأفهام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام /ليوسف بن محمد البطاح الأهدل (ت ١٢٤٦هـ)؛ تحقيق محمد بن أحمد بن أبكر الأهدل.- اليمن: دار البرهان، ١٤٤٠ هـ، ٢٠١٨م.

(٤١) حاشية الدهلوي على بلوغ المرام؛ للشيخ أحمد بن حسن الدهلوي، المتوفَّى سنة ١٣٣٨ م، وقد طُبعتْ سنة ١٣٣٥هـ على الحجر في الهند، ثم قامَ المكتب الإسلامي بطبعها ثانيةً سنة ١٣٩٤ هـ في مجلد.

(٤٢) كتاب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١٩٦/٣، وانظر ترجمته والكلام على شروحه في هدية العارفين ٣٧٠/٢.

٨ – نيل المرام، شَرْحٌ مَدرسيٌّ قام به السيد علوي مالكي، والأستاذ إبراهيم سليمان النوري(٤٤).

٩ – بشير الكرام، حاشية نفيسة للسيد محمد أمين كتبي(٤٥).

١٠ – منظومة بلوغ المرام؛ للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، نظم فيه جل ما حواه بلوغ المرام من الأحاديث –مطبوع(٤٦).

١١ – الإلمام، بتخريج أحاديث منظومة بلوغ المرام؛ للسيد محمد بن يحيى زبارة الصنعاني، مطبوع مع نظم الصنعاني(٤٧).

هذه الشروح والحواشي التي وصل إليها علمي عن بلوغ المرام، وهي تنبيء عن اهتمامِ علماء المسلمين بهذا الكتابِ القيّمِ المبارك(٤٨).

منهج الشيخ البسّام في تأليفه للشرح:

فقد بين الشيخ سبب التأليف ووجهة نظره في طريقة تأليف الكتاب بما يناسب واقع طلاب العلم وحاجة الناس، فقال: "فقد ذكرنا – في "المقدمة الأولى" من مقدمات هذا الشرح – بيانَ أهمية "بلوغ المرام"، وعظم قدره، وجليل فائدته، والميزات الطيبة التي انفرد بها عن الكتب المصنفة في بابه، مما دعا العلماء إلى العنايةِ به، والإقبالِ عليه، والاستفادةِ منه، واختيارِهِ على غيره في حلقات الدروس، وقاعات المعاهد والجامعات، حتى صار هو العمدة في الاستظهار والاستنباط والاستفادة، فتعدَّدت طباعته، وكثر تداوله، وكما قيل: "المورد العذب كثير الزحام".

كما ذكرت في تلك "المقدمة" صِلَتي بهذا الكتاب، وطول صحبتِي إيَّاه، فإنَّها ألفة قديمة، وعلاقة وثيقة، وصلة عريقة، تطلب مني الوفاء لماضيه، وخدمة قارئيه، والقيام بحق مؤلفه، وذلك بشرح يقرِّب معانيه، ويكشف عن مطاويه، ويستخرج درره ويجلو أصدافه ويبرز محاسنه، فحدَّثْتُ نفسي بأني –بعد أن توفَّرَتِ المصادر، وَكَثُرَتِ المراجع، وتيسَّرت الأمور– أستطيعُ أن أقدِّم لطلاب العلم شرحًا يلائم أذواقهم، ويشاكل مناهجهم، ويناسب ما يُلقى عليهم من دروس مادة الحديث، وزاد في إقدامي على شرح هذا الكتاب أمران:

أحدهما: ما لمسته من إقبال على شرحي على "العمدة" المسمى "تيسير العلَّام"، واختياره لتدريس مادة الحديث في كثير من دور العلم، وحلقات الدروس في المساجد، وإعجاب الكثير في جمعه وترتيبه وتنسيقه وتبويبه.

---

(٤٣) لم أقف عليه، وانظر توتر حساب أحد الباحثين **https://twitter.com/sakrantamem/status/777438597075075073?lan . g=ar**

(٤٤) طبع الكتاب في القاهرة : مطبعة الشمرلي، ١٩٦٩=١٣٨٩هـ .

(٤٥) طبع الكتاب، انظر ترجمته في موقع قبلة الدنيا (مكة): **https://www.makkawi.com/Article/36.**

(٤٦) طبع الكتاب طبعة قديمة انظر المكتبة الوقفية:**https://waqfeya.com/book.php?bid=531**.

(٤٧) طبع طبعة قديمة انظر المكتبة الوقفية:**.https://waqfeya.com/book.php?bid=531**.

(٤٨) توضيح الاحكام:(١/١٧-١٨).

الثاني: أنَّ الشروح المتداولة لـ"بلوغ المرام" غير مرتَّبة ولا منسَّقة، وطريقة تأليفها تخالف النهج الذي تسير عليه المعاهد والجامعات الآن[٤٩].

قال الشيخ: "فأقدمت على تأليف هذا الشرح الذي أرجو أن يكون مناسبًا لوقته، ملائمًا لقرَّائه، كافيًا في بابه، وافيًا في مقصوده، وما في هذا الكتاب من فوائد وأحكام، فهي قسمان:

أحدهما: ما استخرجته من خزين الحافظة ثمرة دراسات سابقة صاغتها الملكة حتى صار من إعدادها.

الثاني: نقولٌ من تلك المراجع؛ إما بنصِّها، وإما باختصار لا يخل بمعناها؛ فإني لا أحذف من الكلام إلاَّ استطرادات خارجة عن الموضوع، أو زيادات عن الخلاصة المختارة.

وبعد: فقد حَلَّيْتُ هذا الشرح بأمورٍ تزيدُ في حسنه، وترغِّبُ في قراءته، وأوجزها بما يأتي:

أولًا: فَصَّلْتُ مواضيعَ الكتاب ونسقتها، ليأخذ كلُّ طالب علم بغيته ومراده؛ ففيه الكلام عن درجة الحديث، وتفسير غريبه، وبيان أحكامه، وتفصيل الخلاف في مسائله، فكل موضوع من هذه المواضيع له فصله الخاص به وحده.

ثانيًا: أنني لم أنتصر لأي إمامٍ، ولم أتعصَّب لأي مذهب، وإنما وجَّهت قصدي إلى ما يرجِّحه الدليل من أقوال العلماء، رحمهم الله تعالى.

ثالثًا: أنني ألحقت به ما يناسبه من القرارات التي صدرت من المجامع الفقهية، وهي: مجمَّع الفقه الإسلامي –التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومقره جدة، والمجمَّع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومقره مكة المكرمة، ومجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، ومجمَّع البحوث الإسلامية بالقاهرة[٥٠].

وهذه القرارات قسمان:

إما مسائل قديمة بحثها علماء المجلس؛ فقيمة القرار منها دراسته من أحد هذه المجامع، أو منها كلها، وإعطاء المسلمين فيه رأيًا جماعيًّا من نخبة ممتازة من علماء المسلمين.

وإما مسائل مستجدة اقتضاها العصر الحاضر فدرسها أحد هذه المجامع الكبيرة، وخرج منها برأي شرعي جماعي، طبقت عليه النصوص الشرعية، مما أبان عن عظمة هذه الشريعة وشمولها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

رابعًا: أنني حرصتُ على تتبع الحقائق العلمية التي توصَّل إليها العلم في هذه الأزمنة، التي تطوَّرَتْ فيها العلوم الطبيعية والعلوم الكونية؛ مما له صلة في نصوص هذا الكتاب ومسائله؛ لأبرز بقدر علمي واستطاعتي ما تحمله هذه النصوص الكريمة من إعجاز علمي باهر، طابَقَ بكلِّ وضوحٍ وجلاء ما في تلك الحقائق العلمية الجديدة؛ تحقيقًا لقوله تعالى:

(٤٩) توضيح الاحكام: (١٠٦/١-١٠٧).

(٥٠) توضيح الاحكام: (١٠٧/١).

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت، الآية: ٥٣]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [ص، الآية: ٨٨]، فبظهور هذا التطابق بين النصوص الكريمة وما أودعه الله في هذا الكون من حقائق، يُعْلَمُ أنَّه كله جاء من لدن حكيم خبير، فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، وتقوم الحجة الظاهرة القوية على المعاندين.

خامسًا: أنَّ هذا الشرح بالرغم من حرصي على تقريبه لطالب العلم المبتدئ، إلاَّ أنِّي توسَّعْتُ فيه اتساعًا، فبحثتُ جميعَ جوانب الحديث روايةً ودراية، فقد تكلَّمْتُ على درجة الحديث من حيثُ القبولُ والرَّدُّ، وذلك في الأحاديث التي ليست في الصحيحَيْنِ أو أحدهما، ثم شرحتُ مفرداتِ الحديث وغريبَ لفظه لغةً ونحوًا وصرفًا، واصطلاحًا، وتعريفًا عمليًّا، ثم إني استنبطتُ الأحكام والآدابَ بطريقةٍ موسَّعة، وَعُنِيتُ عنايةً تامَّةً بعِلَلِ الأحكام وأسرارها؛ لأظهر محاسن الإسلام وأحكامه أمام القارئ، لا سَيَّما الناشئة منهم؛ ليزيد تعلقهم بدينهم، فيأخذوه عن قناعة ويقين.

سادسًا: تتميمًا لفائدة هذا الشرح، فإني ألحقتُ – غالبًا– في كل حديث

ما يشابه أحكامه ويناسبها من الفوائد مما يعد أحكامًا زائدةً عما يفهم من الحديث أو من الباب؛ لِذا فإني جعلتها بعنوان مميّز لها حينما أقول: "فائدة" أو "فوائد"(٥١).

وضع الشيخ البسّام [اصطلاحات خاصة في هذا الشرح] كالتالي:

– إذا قلتُ: "الشيخ" فمرادي: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

– وإذا قلتُ: "قال ابن عبد الهادي" فمن كتابه المحرَّر.

– وإذا قلتُ: "في التلخيص" فمرادي التلخيص الحبير؛ للحافظ ابن حجر.

– وإذا قلتُ: "قال الصنعاني" فهو من سبل السلام.

–وإذا قلتُ: "قال الشوكاني" فأعني من نيل الأوطار.

– و"قال صديق حسن" يعني: من الروضة الندية.

– وإذا قلتُ: "قال الألباني" فهو من إرواء الغليل، وقليل من حاشيته على المشكاة.

– ومرادي بـ"الروض" الروض المربع، ومرادي بـ"الحاشية" حاشية الروض؛ للشيخ عبد الرحمن ابن قاسم.

– قد يتكرر شرح اللفظة الواحدة من الحديث أو أكثر من مرة؛ وقصدي إراحة القارئ بإعادة شرحها عن الإحالة إلى مكانها.

(٥١) توضيح الاحكام: (١٠٩/١).

ثم ختم الشيخ حديثه عن منهجه في التأليف إلى ابتهاج ووصية بالشباب وطلاب العلم وجيل الدعوة والرجوع إلى العلم الشرعي فقال: " فإنني مغتبط أشدَّ الاغتباط بهذه الصحوة الإسلامية المباركة، وهذا الوعي المديني الذي جُلَّ أمره صار في الشباب والشابات، فأسأل الله تعالى أن يبارك فيه، وأن يؤيِّده ويقوِّيه، وأن يقيه شر الآفات، ومكايد الأشرار، وتدبير الأعداء.

والذي أنصح إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي به: أن يحرصوا على جمع الكلمة، وتوحيد الصف وَلَمِّ الشمل، ولا يكون ذلك إلاَّ بتناسي الخلافات الفرعية في المسائل الاجتهادية"[٥٢].

التمثيل لالتزام الشيخ بما خطه في المقدمة:

١- نجد الشيخ يبدأ بذكر درجة الحديث إذا كان في غير الصحيحين، ثم يلخص حال الحديث وقد أشار لذلك بقوله في المقدمة " إلاَّ أنِّي توسَّعْتُ فيه اتساعًا، فبحثتُ جميعَ جوانب الحديث روايةً ودراية، فقد تكلَّمْتُ على درجة الحديث من حيثُ القبولُ والرَّدُّ، وذلك في الأحاديث التي ليست في الصحيحَيْنِ أو أحدهما"، وهو كما قال: فإذا تأملنا ثاني حديث في الكتاب، وهو حديث "إن الماء طهور لا ينجّسه شيء" قال بعده الحافظ في البلوغ أخرجه الثلاثة وصححه أحمد[٥٣]، فنلاحظ أن الشارح البسّام صدّر درجة الحديث بأنه "صحيح" فسهّل على القارئ غير المتخصص، ثم فصل لطالب العلم فنقل تصحيح أحمد للحديث، ونقل كلام الترمذي في تحسينه ومن جودّه...ونقل عن ابن حجر في التلخيص تصحيح من صححه، ثم نقل عن الألباني كلامه على السند والنقل عن من صححه أو من تكلم على رجاله، ثم ختم البسّام آخر كلامه بإيراد من صححه من الأئمة غير من تقدم ذكرهم كابن حبان وابن تيمية من المتأخرين، وذكر أعلال ابن القطان الفاسي المتأخر للراوي عن أبي سعيد، ثم رد عليه الشيخ البسّام بأن أعلاله وحده لا يقاوم تصحيح هؤلاء الأئمة الكبار[٥٤]، *وبتتبع حال معظم أحاديث الكتاب*، نجد أن الشيخ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فلا يتكلم عليه، وإن كان خارجهما فإنه يتناول ملخص كلام العلماء في الحكم على الحديث وطرقه، وقد اعتمد على مشاهير كتب التخريج والحكم على الأحاديث لبعض المتقدمين وبعض المتأخرين والتي تناولت أحاديث الأحكام، ومن أهمها: التلخيص الحبير، والتحرير لابن عبدالهادي، وكلام المنذري في الترغيب والترهيب، وكلام الهيثمي في مجمع الزوائد، والشيخ الألباني في إرواء الغليل وغيره من كتبه، والشيخ صديق حسن في الروضة، كما أن الشيخ يهتم بنقل العلل من الكتب المتقدم ذكرها، مثل كلام البخاري والترمذي وأبي حاتم وغيرهم.

٢- بعد ذكر درجة الحديث يورد الشيخ **مفردات الحديث**، قال الشيخ "ثم شرحتُ مفرداتِ الحديث

(٥٢) توضيح الاحكام: (١٠٧/١-١٠٩)، ويأتي تخريجه في ص٤٦.

(٥٣) توضيح الاحكام:(١١٨/١).

(٥٤) توضيح الاحكام:(١١٨/١).

وغريبَ لفظه لغةً ونحوًا وصرفًا"، ونجد الشيخ يشرح المفردات شرحاً موجزاً، وفي النادر يعزو لبعض كتب الغريب، وكتب اللغة[٥٥].

٣- ثم يورد الشيخ ما يؤخذ من الحديث من فوائد ومسائل، ويشير للإجماعات[٥٦]، وهذه ميزة مهمة، ويشير للمسائل المتفق عليها، ولا يعرض للخلاف إلا إذا كان قوياً كعادته في كتاب تيسير العلام. والشيخ لا يتعصب للمذهب الحنبلي، بل ينقل عن شتى المذاهب، وينقل اختيارات كبار المحققين من مختلف المذاهب، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والنووي وابن حجر، وابن عابدين والشوكاني، وقد أشار لذلك بقوله: "لم أنتصر لأي إمامٍ، ولم أتعصَّب لأي مذهب، وإنما وجَّهت قصدي إلى ما يرجِّحه الدليل من أقوال العلماء، رحمهم الله تعالى"[٥٧].

٤- يورد الشيخ ردوداً مهمة لبعض القضايا المعاصرة ضد المستشرقين والزنادقة، ومن أمثلة ذلك إيراده كلام العلماء المعاصرين في الرد على الزنادقة كما في نقله لردود العلامة عبدالرحمن المعلمي في كتابه الأنوار الكاشفة على أبو ريّة وأشكاله، ومن ذلك رده لحديث الذباب والطعن فيه[٥٨].

٥- يشير الشيخ في ثنايا شرحه لحِكم التشريع كلما سنحت فرصة، وينقل في ذلك عن أئمة الشأن، من ذلك نقله عن ابن القيم حكمة التشريع لخيار المجلس[٥٩].

٦- أحياناً يطيل الشيخ الكلام في الخلاف في مسألة قد لا تكون ذي بال لدى متقدمي العلماء، لكنها مهمة في وقتنا الحاضر من حيث حصول بعض الإشكال فيها، ومثالاً على ذلك نجد الشيخ أطال الكلام، وذكر الخلاف في موضوع قبض اليد والإشارة بالسبابة في التشهد!! وشرح الحديث في قرابة سبع صفحات!! حيث إن المسألة قد تكلم فيها غير واحد من العلماء المعاصرين، كالشيخ ابن باز وابن عثيمين، وكان رأيهم يميل إلى تصحيح لفظة "يحركها يدعو بها"[٦٠]، والعمل بها على ظاهرها!!

---

(٥٥) انظر توضيح الاحكام: (٢٦٩/١).

(٥٦) توضيح الاحكام: (١٢٠/١).

(٥٧) توضيح الاحكام: (١٠٧/١).

(٥٨) توضيح الاحكام: (١٤٩/١).

(٥٩) توضيح الاحكام:(٣٥٦/٢).

(٦٠) ليس المقام مقام الحديث على هذه العلة، لكن سأوجز الكلام على علة الحديث، لأجل اللبس الكبير الذي وقع فيه المتأخرون والمعاصرون في تصحيح سند هذا الحديث على ظاهرة، والمبالغة في الجمع بينه وبين الرواية المحفوظة والتي في صحيح مسلم. فالحديث بلفظة "يدعو بها" أخرجه النسائي في الكبرى - كتاب المساجد - أبواب صفة الصلاة - قبض الثنتين من أصابع اليد اليمنى وعقد الوسطى والإبهام فيها، ٦٢/٢، رقم١١٩٢ - وابن خزيمة في صحيحة - كتاب الصلاة - جماع أبواب الأذان والإقامة - باب صفة وضع اليدين على الركبتين في التشهد وتحريك السبابة عند الإشارة بها، ٧٠٧/١رقم٧١٤، وغيرهما من طريق زَائِدَةَ عن عَاصِمُ بْنُ كُلَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ وَائِلَ بْنَ حُجْرٍ قَالَ : قُلْتُ لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يُصَلِّي ؟ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَوَصَفَ قَالَ : ثُمَّ قَعَدَ وَافْتَرَشَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى ، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ وَرُكْبَتِهِ الْيُسْرَى ، وَجَعَلَ حَدَّ مِرْفَقَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ قَبَضَ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ وَحَلَّقَ حَلْقَةً ثُمَّ رَفَعَ إِصْبَعَهُ فَرَأَيْتُهُ يُحَرِّكُهَا يَدْعُو بِهَا - مُخْتَصَرٌ ، واللفظ للنسائي، وسنده صحيح، لكن فيه علة، فلفظة "يحركها يدعو بها"، انفرد بها زائدة عن بقية الحفاظ، مخالفاً للمحفوظ في صحيح مسلم، - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب صفة الجلوس فِي الصلاة وكيفية وضع اليدين على الفخذين٩٠/٢، رقم٥٧٩ وفيه "وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ"، ولذا قال الإمام ابن خزيمة عقبه مشيراً لهذه العلة :" لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْبَارِ " يُحَرِّكُهَا " إِلَّا فِي هَذَا الْخَبَرِ زَائِدَةُ ذكرهُ .."، أما ما ذهب إليه البيهقي لمحاولة الجمع حيث قال: "فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْتَحْرِيكِ الْإِشَارَةَ بِهَا ، لَا تَكْرِيرَ تَحْرِيكِهَا ، فَيَكُونُ مُوَافِقًا لِرِوَايَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ" السنن الكبير١٣٢/٢، فضعيف، ومستغرب من البيهقي وهو من البصيرين بالعلل، إذ لو كان اللفظ محفوظاً وقد وافق فيه زائدة الحفاظ لتوجهنا إلى الجمع بين اللفظين، فالمحفوظ مجرد الإشارة، أي رفعها طوال التشهد بدون تحريك، وفي ذلك أكثر من بحث لدراسة كافة الطرق في موقع صيد الفوائد كما في الرابط التالي: https://www.saaid.net/bahoth/149.htmK

وفي موقع الألوكة العلمي: /https://www.alukah.net/sharia/0/97100 .

وفي ذلك نظر عند التحقيق من الناحية النقدية الحديثية، وهي لفظة روايتها من ثقة، لكن خالف الأوثق فهي منكرة، وقد أجاد الشيخ في نقل الروايات والجمع بينها، وكان رأيه هو الصواب في المسألة من الناحية الحديثية[٦١].

٧- العلاّمة البسّام تربوي اجتماعي من الدرجة الأولى وهذا ظاهر في كتبه، ففي آخر شرحه لحديث رفع السبابة في التشهد أعطى توجيهاً للشباب وطلاب العلم حول الخلاف في المسائل الفرعية وكذا في السنن المختلف فيها فقال:" ما ورد من اختلاف الأئمة في صفة وضع اليدين على الفخذين، والإشارة بالسباحة هي مسائل فرعية، كل واحد من الأئمة قال حسبما وصل إليه اجتهاده من فهم النصوص، والمجتهد له أجران، أو أجر واحد، وهم كلهم -رحمهم الله تعالى- مجمعون على أنَّها من فضائل الصلاة، إن تركها المصلي أو فعلها، لا تبطل الصلاة، ولا يوجب الاختلاف، لذا فإني أنصح أبناءنا الشباب الراغبين في الخير، ألا تكون هذه الخلافات الفرعية مثار جدل لهم، وعداوة بينهم، وأن يبحثوها، للوصول إلى الصواب منها، أما أن يخطّئ بعضهم بعضًا، ويعادي بعضهم بعضًا، فهذا مباين للإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل"[٦٢].وهكذا الشيخ يتحين المواقع المناسبة لتخصيص الشباب بنصيحة ترتبط بحديث نبوي، فعند كلامه على حديث (إذا تبايعتم بالعينة) [٦٣]، وذكره ما يؤخذ من الحديث من مسائل، ومنها أنه لا عزّة للمسلمين إلا بالأخذ بهذا الدين، وأنه لاينصر الله تعالى إلا من نصر دينه، عقّب بنصيحة للشباب في زمن الفتن، تضمّنت الحث على اتباع الصراط المستقيم، ونبذ الخلافات فيما بينهم وألاّ تكون المسائل العلمية الفرعية سبب للخلاف والفرقة، وحثهم على لزوم الجماعة والحذر من المذاهب الهدامة والمضللة[٦٤] .

٨- مما تميّز به الشرح أن الشيخ نص في المقدمة على تضمين المسائل لقرارات المجامع الفقهية المهمة، كمجمع الفقه بجده وقرارات هيئة كبار العلماء في السعودية وغيرها، ونجد هذا الأمر عمله الشيخ بشكل كبير في كل أجزاء الكتاب، وأهمية هذا النوع من القرارات أنها تتناول مسائل نازلة وجديدة يحتاجها الناس في حياتهم في العصر الحاضر، وتحتاج لاجتهاد ورأي جماعي، والفتوى الفردية من بعض العلماء لا تماثل الفتوى الجماعية، فالشيخ يحرص على نقل قرارات لمجامع مهمة تجمع أكبر علماء البلد أو أكبر علماء العالم الإسلامي، ونجده يورد هذه القرارات بعد ذكر خلاف العلماء في مسألة ما، فعندما تعرض الشيخ للشروط المنهي عنها في البيع، وخلاف العلماء في الأصل في الشروط عقّبه بنقل قرار هيئة كبار العلماء في السعودية بشأن صحة الشرط الجزائي ولزومه[٦٥]،ثم أورد قرار مجمع

(٦١) توضيح الاحكام:(٢٦٦/٢-٢٦٧).

(٦٢) توضيح الاحكام:(٢٦٧/٢).

(٦٣) توضيح الاحكام:(٤٠٩/٤).

(٦٤) توضيح الاحكام:(٤١٢/٤-٤١٣).

(٦٥) توضيح الاحكام:(٢٥٣/٤).

الفقه الاسلامي بشأن موضوع الشرط الجزائي وفصّل فيه وذكر توصيات المجلس[٦٦].

المبحث الثاني: (طرق تدريس الشيخ في الحرم المكي)

المطلب الأول

طريقة تدريسه للحديث في الحرم المكي

جاء في ترجمة الشيخ أول البحث أنه منذ تخرجه وقد بدأ التدريس في الحرم إلى حين وفاته، وكانت معظم هذه اللقاءات القديمة مسجّلة لدى جهات متعددة، كإذاعة الحرم، ومكتبة الحرم، ونداء الإسلام بإذاعة مكة، ولكن للأسف هذه الجهود غير معتنى بها جمعاً وترتيبا وتصنيفاً، بل الواقع فيها هو أنه يوضع لها عناوين ويكون التسجيل حسب تاريخ المادة، وعندما أردت أن أراجع هذه التسجيلات وجدت مشقة، ولم أجد لديهم تسجيلاً مصنّفاً بأنه شرح لكتاب من كتب الحديث!! وللأسف الشديد، لكن وقفت على جهود بعض طلاب العلم في بعض المواقع الكترونية بجمع كمّ من تسجيلات الشيخ حسب التسلسل التاريخي ووضع عناوين لها[٦٧] وهذه خطوة طيبة، ولا يزال الأمر يحتاج لجهد كبير كما قدمت.

طريقة شرح الشيخ للحديث في الحرم:

١- إذا بدأ الشيخ بباب من أبواب الكتاب مثل باب المياه أو الصلاة، فإنه يقدّم بمقدمة في التعريف به، ويذكر أهميته، ويذكر بعض القواعد المتعلقة به مع إيراد الأمثلة.

٢- ثم يبدأ الطالب بالقراءة للأحاديث، ثم يشرع الشيخ في شرح الحديث شرحاً مبسطاً، ثم يمثل بأمثلة قديمة، ومن الواقع ويصوّر المسائل لتقريبها للطلاب، وهذا من أهم ما يميز دروس الشيخ، لأن الحكم على الشيخ فرع عن تصوره.

٣- ثم يقرأ الطالب بعض ما يؤخذ ويستنبط من الحديث، وإذا كانت الفائدة تحتاج لتعليق أو مزيد تصوير أو تمثيل فيسترسل الشيخ، وإن كانت الفائدة واضحة يتجاوزها بلا تعليق.

٤- ثم ينتقل الشيخ للأسئلة ويطيل فيها بهدف إفادة العامة؛ لأن الحضور كبير، وغالبه من العامة ومن الطلبة الوافدين، وطريقته في الإجابة تعتمد على التمثيل والاستدلال بإيجاز.

٥- يتعرض الشيخ من خلال الشرح، ومن خلال الإجابة على الأسئلة إلى اسلوب التوجيه والترغيب والترهيب، والتعرض بشكل موجز لحكم التشريع والإعجاز، لكن ليس بالتوسع الذي نجده في الكتاب.

٦- يتميز شرح الشيخ للحديث في الحرم بالتبسيط والاختصار والتقريب والتمثيل، دون توسع، حتى الخلاف يعرض له الشيخ أحياناً خاصة إذا كان قوياً بشكل موجز ومبسط، ثم يرجح، فالشيخ يراعي حال

---

(٦٦) توضيح الاحكام:(٢٥٤/٤-٢٥٥).

(٦٧) انظر ذلك في موقع الآجري:
https://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=38441

صغار الطلاب قبل كبارهم، ويراعي حضور العامة، وحضور الطلبة من البلدان المختلفة خاصة غير العربية كطلاب إفريقيا، فتدريسه في الحرم بما يتناسب مع الحال.

٧- الشيخ يتوسع في المسائل وقراءة الفوائد، والتعليق عليها في كتابه توضيح الأحكام أكثر من تيسير العلام، ففي سماعي لبعض شرحه لكتاب تيسير العلام قديماً كان الشيخ يقرأ الأحاديث ويعلق عليها تعليقاً موجزاً، بخلاف التوسع الملاحظ في شرح تيسير العلام قبل وفاته رحمه الله[٦٨].

المطلب الثاني

طريقة تدريسه للسيرة النبوية في الحرم المكي

لم أقف على تسجيل لدروس الشيخ في السيرة النبوية، لكن قدّر لي حضور دروس الشيخ البسّام في الحرم المكي في كتاب البيوع والنكاح وفي السيرة النبوية من عام١٤١٧هـ إلى ١٤٢١هـ وسأتناول هنا تدريسه للسيرة النبوية، وكان الشيخ في رمضان يتوقف عن الدروس العلمية المنهجية ويتحول للحديث عن أحكام الصيام، ثم السيرة النبوية بعد الفطور بين صلاة المغرب والعشاء، ومما حضرت له من دروس السيرة شرحه لمعركة بدر الكبرى، وكان شرح للواقعة هو شرح العلماء الكبار، وليس شرح الوعاظ والقصاص! ولم أسمع لشيخ أو عالم أروع من شرح الشيخ عبدالله رحمه الله من حيث الأسلوب، وتميز شرحه بالتالي:

١- أنه يستظهر ويستدعي كل آية لها علاقة بأحداث الواقعة، وينزلها في موقعها بطريقة عجيبة، فكل الآيات التي وردت في القران الكريم عن الواقعة التي يتحدث عنها يستدعيها، وهذا يعد من ربط القرآن بالسيرة، علماً بأنك ترجع لكتب السيرة المتقدمة فتجدها تورد بعض الآيات في مواقع وتهمل آيات أخرى، وكان لهذا الاسلوب تأثير بليغ جداً في نفوس المستمعين *وفي تصوير أحداث السيرة بما يصدع القلوب، وهذا الأسلوب لا يستطيعه إلا العلماء، ويتكرر هذا في نقل ابن هشام لسيرة ابن اسحاق،* كما أن هذه الطريقة هي منهاج رائع لطلاب العلم والوعاظ والخطباء للتأثير في نفوس المستمعين[٦٩].

٢- كان الشيخ يُدّبج أحداث عرض السيرة بالاستشهاد من حفظه بأشهر أبيات وقصائد الشعر التي وردت في الأحداث لاسيما في الشجاعة والإقدام وفي الرثاء، مما تنقله الكتب المتقدمة في السيرة كسيرة ابن هشام، مما كان يشيط نفوس السامعين ويلعب بمشاعرهم.

٣- تميز أسلوب فقهينا البسّام بالصوت الجميل الرنان، مع إبداع الشيخ في استعمال الرنم أو النغم وتنويع طبقات الصوت، وتفاعل الصوت مع طبيعة الموقف من إقدام أو فرح أو حزن، مما كان له بالغ

---

(٦٨) انظر موقع النجوم اللامعة: https://archive.org/details/asdasmd22014-05-08/051611-6-1418b.mp3.

(٦٩) وكان لي تجربة حينئذ استوحيتها من منهج الشيخ وأسلوبه أثناء إلقائي لدروس السيرة في المساجد، ورأيت تأثيراً بالغاً لها في قلوب السامعين.

الأثر في جذب السامعين وشدهم لمواصلة الاستماع وعدم الانقطاع، وهذا يدخل في براعة الإلقاء وجودة فنون الاتصال والتواصل، ومما كان يفعله القراء الحفاظ في مراعاتهم للنغم وفق الحالة، مما يسمى بالمقامات الصوتية.

٤- كان الشيخ يستخرج الفوائد والمسائل العلمية من خلال الحادثة بدون توسّع.

لاحظت وقتها أن الشيخ كان كثيراً ما يعتمد في تحضيره على كتاب السيرة لابن هشام الذي يعد أوسع وأشهر كتب السيرة، حيث يعتني الكتاب بإيراد الآيات في الوقائع لكن بدون استيعاب، ويورد بشكل كبير ما ورد من شعر وقصائد لكل حادثة ورد فيها شعر.

المبحث الثالث: (جهوده في خدمة الكتب الحديثية)

المطلب الأول

الفرق بين كتاب الشيخ "توضيح الأحكام" و"سبل السلام" للإمام الصنعاني

كتاب بلوغ المرام هو من أهم كتب الأحكام المتوسطة والجامعة، وقد أصبح هذا الكتاب مرجعاً لطلاب العلم وحلقات العلم والجامعات والمعاهد، ونال شرحه سبل السلام للإمام الصنعاني قصب السبق في شروح هذا الكتاب وكتب له القبول، ثم أتى شرح العلاّمة البسّام ليكون رائد شروح بلوغ المرام في العصر الحديث، وكتب له القبول لسهولة الشرح، ولكون مؤلفه من كبار علماء المملكة ***الذين يشار*** *إليهم بالبنان*، فمع اختصاره جمع من الفقه والخلاف والفوائد والنكات الشيء الكثير، لذا رأيت وأن أدْرس جهود الشيخ البسّام الحديثية أن أعمل هذه المقارنة بين الكتابين، والتي تفيد طلاب الحديث، وتتناول المقارنة ما تميز به كل كتاب عن الاخر، وما اتفقا فيه واختلافا.

طريقة الإمام الصنعاني في شرح بلوغ المرام:

وقد بسط في مقدمة كتابه هذا المنهج فقال: " ... فهذا شرح لطيف على بلوغ المرام، تأليف الشيخ العلامة شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر أحله الله دار السلام، اختصرته عن شرح القاضي العلامة شرف الدين الحسين بن محمد المغربي -أعلى الله درجاته في عليين- مقتصراً على حل ألفاظه وبيان معانيه، قاصداً بذلك وجه الله ثم التقريب للطالبين والناظرين فيه، معرضاً عن ذكر الخلافات والأقاويل، إلا أن يدعو إليه ما يرتبط به الدليل، مجتنباً للإيجاز المخل والإطناب الممل، وقد ضممت إليه زيادات جمّة على ما في الأصل من الفوائد".

فالإمام الصنعاني يسير على هذه المنهج في شرحه على وجه الإجمال:

١. يبدأ بذكر الحديث، وتعليق الحافظ عليه.

٢. ثمّ يُترجم للصّحابي راوي الحديث ترجمة موجزة.

٣. يشرح غريب الحديث، ويتعرّض - أحياناً - لإعراب بعض الكلمات، ويوضح معنى الكتاب، أو الباب الذي شرعَ في شرحه.

٤. يترجم لرواة كتب الحديث من مشاهير الأئمة.

٥. يأتي بشرح بعض مسائل مصطلح الحديث، كالصحيح والحسن والضعيف ونحوها إذا وردت.

٦. ينقل ما يتيسر من كلام العلماء على الحديث تصحيحاً أو ضعفاً بإيجاز في الغالب وقد يستطرد.

٧. ثم يشرَع في شرح الحديث، وذلك بنقل أقوال العلماء، واختلافهم في المسائل الفقهية الفرعية فيه.

٨. يحلّ الإشكالات الواردة، والتعارض الذي يبدو في بعض الأحاديث.

٩. ويُرجّح ما يراه راجحاً بالدّليل، ويُناقش دليل المخالف، بل ويرد على أوجه التأويل لدى بعض كبار الائمة بالحجة.

١٠.كما أنه يورد الفوائد المستنبطة من الحديث في آخر الحديث في الغالب، ويأتي باللطائف من كلام العلماء.

الفرق بين الشرحين للبسام وللصنعاني(٧٠)

الفرق بين الكتابين كالتالي:

١- نلاحظ الكتابين اتفقا على التقريب والتسهيل للشرح، خاصة للطالب المبتدئ مع انتفاع المنتهي.

٢- الاثنان اتفقا على عدم إيراد الخلاف الضعيف، فالصنعاني يذكر الخلاف المرتبط بالحديث، والبسّام يذكر الخلاف القوي فقط، ويعرض عن الضعيف، وهذا ملحظ مهم!!

٣- كتاب الصنعاني أعمق في ذكر الخلاف المرتبط بالحديث من شرح البسّام، والبسّام أكثر ترتيباً وتقريباً.

٤- الصنعاني أحياناً يطيل الكلام والخلاف في المسألة إذا رأى حاجة من ذلك، والبسّام لا يطيل في الغالب.

٥- *الصنعاني يذكر خلاف الزيدية وآل البيت عند ذكر أقوال العلماء وقد يستطرد*، مما يضايق القارئ أحياناً، والبسّام لا يورده، وسبب إيراد الإمام الصنعاني لخلاف الزيدية أن الصنعاني في الأصل زيدي المذهب، لكنه مجتهد مستقل متبع للراجح الموافق للدليل، وذكره لخلاف الزيدية له حكمة ذكية!! فهو يعيش في تلك البيئة، وبين علمائها وطلابها، وهو يهدف لجذب واستلطاف علماء وطلاب الزيدية لقراءة كتابه ومن ثم التأثر بعرضه للخلاف والحجج وتأييده لما عليه الدليل والحجة الناصعة، وهذا ملحظ مهم يثير التساؤل لدى الكثير، وهذا جوابه.

٦- يتفق الشيخان في اتباع الراجح من المسائل الموافقة للدليل، فالبسّام ينقل صراحة وبكثرة عن ابن تيمية وابن القيم، والصنعاني يتبع ويوافق في ترجيحاته واختياراته شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم لكن لا يصرح في الغالب!(٧١) ويحتمل أنه يفعل

(٧٠) لم أتوسع في ذكر الأمثلة التي تنتشر في الشرح خاصة في كتاب الصنعاني لأنه يتناول جزئية مكملة في دراسة جهود البسام في الحديث، وليست أساسية، وحتى لا يطول البحث عن الحد المحاط به، كما أن تدريسي للكتابين لسنوات ساعدني في ذكر هذه المقارنة.

(٧١) فهنا اختار قولاً اشتهر به شيخ الإسلام ابن تيمية، دون أن ينسبه له، حيث قال: "ثم الحق أنه لم يتم دليل على اشتراط الإيجاب والقبول بل حقيقة البيع المبادلة الصادرة عن

ذلك حتى لا يخسر القارئ المتعصب لمذهب ما!! لكنه يشير صراحة لأقوال ابن تيمية وابن القيم في مواطن عديدة، لكن الغالب هو ذكر اختياراته مبهمةً[٧٢].

٧- يتميز كتاب البسّام عن الصنعاني بذكر المسائل النازلة، والمستجدة، وأحكام المجالس، والمجامع الفقهية المعاصرة، وهذه ميزة للكتاب لا توجد في الشروح القديمة، قال عنه الشيخ الدكتور عبدالكريم الخضير: "شرحٌ طيِّب وأُسلُوب مُناسب ومُرتَّب، يُناسب أوساط المُتعلِّمين والمُثقَّفين، وفيه عِناية بفتاوى اللَّجنة، ومُقرَّرات هيئة كِبار العُلماء والمجمع الفقهي، وفيهِ أُمُور يحتاجُها طالب العلم. في حين أننا نجد الفقهاء في كتبهم يرجعون أساساً لسبل السلام فأيهما أفضل لطالب العلم؟ لا سيما الساعي لدراسة الفقه وليس الحديث... هل شرح الشيخ البسّام؟! أم شرح الصنعاني بتحقيق الألباني؟! وعلى أي أساس تتم المفاضلة بينهما؟ فلو أحببنا المفاضلة بين شرح الشيخ البسّام وشرح الصنعاني "سبل السلام" فأيهما أفضل؟ يحفظ البلوغ ويقرأ في شروحه، ويجمع بين سبل السلام وتوضيح الأحكام للشيخ عبد الله البسّام -إذا جمع بينهما استفاد فائدة عظيمة-؛ لأن شرح الصنعاني شرح متين يمكن أن يُربّى عليه طالب علم... وشرح الشيخ ابن بسام رحمه الله فائدته تكمل في سهولته وترتيبه، وفي نُقول فتاوى المعاصرين كاللجنة الدائمة، وهيئة كبار العلماء، ومجمع الفقه وغيرها، وهذه مهمة لطالب العلم[٧٣].

المطلب الثاني

مختلف الحديث لدى الشيخ البسّام

ورأيت من الضروري أن أفرد الكلام عن تعامل الشيخ مع مختلف الحديث الذي يعد من أهم أنواع علوم الحديث، لاسيما وأن *العارفين به هم أهل الفقه والأصول، والشيخ من المبرزين في هذا الباب*، لذا رأيت أن آتي في هذا البحث اليسير بنماذج من كتاب توضيح الأحكام على الخصوص؛ لأنه آخر الكتب التي اعتنى بها، ونثر فيه كنانته، كما أنه استرسل في هذا الكتاب في ذكر المسائل، والخلاف بخلاف غيره، بل والأهم في بحثنا أنه توسع في الناحية الحديثية في ذكر تخريج الحديث، وذكر حاله من حيث الصحة والضعف، ونقل كلام النقاد في علل الحديث، والاختلاف في الرفع والوقف، مما زاد الكتاب قيمة وجمالاً وفائدة، **وسنستعرض هنا ثلاثة** أمثلة لتناول الشيخ لمسائل الخلاف والتي تشتمل على مختلف الحديث، ومنهج الشيخ في تناول هذا النوع.

تراض كما أفادت الآية والحديث، نعم الرضا أمر خفي يناط بقرائن منها الإيجاب والقبول، ولا ينحصر فيهما، بل متى انسلخت النفس عن المبيع والثمن بأي لفظ كان" سبل السلام٢/٢.

(٧٢) وهذه من المواضع التي صرح فيها بنسبة القول لابن القيم وشيخه، قال: "وهذا هو الذي قررناه في منحة الغفار حاشية ضوء النهار .قال ابن القيم وهو أعدل الأقوال وهو اختيار شيخ الإسلام بن تيمية :وحديث جابر هذا صريح فيه، فإنه أثبت الشفعة بالجوار مع اتحاد الطريق ونفاها به في حديثه الآخر مع اختلافها" سبل السلام١٠٩/٢.

(٧٣) انظر فوائد الخضير في موقعه:
https://shkhudheir.com/pearls-of-benefits/163450777 ، **وأيضاً:**
http://www.khudheir.com/audio/61، **وأيضاً:**
https://shkhudheir.com/pearls-of-benefits/163450777،

أولاً: تعريف مختلف الحديث:

عرّفه الحافظ الحاكم بقوله: "معرفة سنن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُعارضها مثلها"(٧٤).

ثم عرّفه الإمام النووي رحمه الله فقال: "هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرًا، فيوفِّق بينهما، أو يرجّح بينهما".(٧٥) وهذا التعريف أوفى وأشمل ومن أدق التعاريف.

ثانياً: أهمية معرفة مختلف الحديث وحكمه:

قال النووي: "هذا من أهم الأنواع، ويضطر إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف، ...وإنما يكمل له الأئمة الجامعون بين الحديث، والفقه، والأصوليون الغواصون على المعاني، وصنّف فيه الإمام الشافعي، ولم يقصد رحمة الله استيفاء، بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه، ثم صنف فيه ابن قتيبة فأتى بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة، لكون غيرها أقوى وأولى، وترك معظم المختلف، ومن جمع ما ذكرنا لا يشكل عليه إلا النادر في الأحيان، والمختلف قسمان: أحدهما يمكن الجمع بينهما، فيتعين ويجب العمل بهما، والثاني لا يمكن بوجه، فإن علمنا أحدهما ناسخاً قدمناه، وإلا عملنا بالراجح كالترجيح بصفات الرواة وكثرتهم في خمسين وجهاً، والله أعلم"(٧٦).

(٧٤) معرفة علوم الحديث ص(٣٨٢).

(٧٥) التقريب والتيسير ص(٩٠).

(٧٦) التقريب والتيسير ص(٩٠).

قال الإمام ابن الصلاح: وقد روينا عن (محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام) أنه قال: لا أعرف أنه روي عن النبي – صلى الله عليه و سلم – حديثان بإسنادين صحيحين متضادين فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما"(٧٧).

ثالثاً: النماذج: وهي كما يلي:

النموذج الأول: الحديث رقم(٢) حديث بئر بضاعة "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَتَوَضَّأُ مِنْ بِيرِ بُضَاعَةَ ؟وَهِيَ بِيرٌ يُطْرَحُ فِيهَا الْحِيَضُ وَلَحْمُ الْكِلَابِ وَالنَّتْنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ(٧٨)".

بدأ الشيخ البسّام رحمه الله بالجزم بصحة حديث بئر بضاعة، ونقل تصحيح أحمد وتحسين الترمذي، ثم نقل عن التلخيص الحبير والمعاصرين من صححه من المتقدمين والمتأخرين(٧٩).

وأطال الشيخ النفس في الكلام على أسانيد الحديث الرابع حديث القلتين(٨٠)، ونقل تفصيل علل الحديث

(٧٧) معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح (ص: ٣٩١).

(٧٨) أخرجه أبو داود في "سننه" (١ / ٢٤) برقم: (٦٦) (كتاب الطهارة ، باب ما جاء في بئر بضاعة) ، (١ / ٢٥) برقم: (٦٧) (كتاب الطهارة ، باب ما جاء في بئر بضاعة) والترمذي في "جامعه" (١ / ١٠٨) برقم: (٦٦) (أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء) وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٣١٢) برقم: (١١٢٨٨) (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) وإسناده صحيح، على اختلاف في إسناده، ويكفي أنه قد صححه أحمد وابن معين وغيرهما انظر التلخيص الحبير: (١ / ١٣).

(٧٩) توضيح الأحكام١١٨/١.

(٨٠) انظر الحديث وتخريجه في التوضيح١٢١/١.

متناً وسنداً ورجّح صحته، ونقل عن أشهر من تقدم وتأخّر ممن صحح الحديث[٨١].

وعليه فالشيخ يرى العمل بالحديثين، والجمع بينهما!!

فقد نقل قول الجمهور ومنهم الشافعي في أن القليل وهو ما دون القلتين وهو ينجس بمجرد ملاقاة النجاسة، ولو لم يتغير، عملاً بمفهوم حديث القلتين[٨٢].

ونقل القول الثاني وهو قول مالك واختيار ابن تيمية وابن القيم الى أن الماء لا ينجس بملاقاة النجاسة مالم يتغير أحد أوصافه الثلاثة الطعم أو اللون أو الريح[٨٣].

وذكر أدلتهم، وقال: (أما مفهوم الحديث فغير لازم، فقد يحصل التنجّس إذا غيرت النجاسة صفة من صفاته وقد لا يحمل النجاسة) الخ...، والشيخ لم يصرح براجحان القول الثاني لديه، لكن عرفنا أنه راجح لديه أولاً: بتصحيحه لحديث القلتين، فوافق ابن تيمة وغيره من المحققين.

وثانياً: بتعليله أنّ المفهوم غير لازم.

وثالثاً: بقوله: ذهب الإمام مالك والظاهرية وشيخ الإسلام وابن القيم ... وعلماء الدعوة السلفية بنجد وغيرهم من المحققين .. الخ، وهو إشارة منه إلى قوة القول...

(٨١) التوضيح١/١٢١-١٢٢.

(٨٢) التوضيح١/١٢٣-١٢٤.

(٨٣) التوضيح١/١٢٤.

وتبين لي من خلال تدريس الكتاب، وتتبع نقول الشيخ، أنه في الغالب يتابع ترجيحات ابن تيـــمة وابن القيم ولا يخالف إلا في القليل.

رابعاً: ثم عقب بما يعضد ذلك، وهو قرارات مجلس العلماء والرابطة بأن الماء يُطهر إذا تم تخليصه من النجاسة[٨٤].

النموذج الثاني: حديث (فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا ". قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَقَدِمْنَا الشَّأْمَ، فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَنَنْحَرِفُ، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى. وَعَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِثْلَهُ) [٨٥].

الخلاف في هذه المسألة طويل، ولكنّ روعة الاختصار، والايجاز لدى الشيخ البسّام رحمه الله، مع نقل أهم أدلة القولين واستدلالاتهم فيما لايزيد على صفحة واحدة ظاهرٌ للقارئ والباحث.

وهنا نجد الشيخ خالف ابن تيمية وابن القيم ورجح القول الثاني قولَ الجمهور فقال: وذهب إلى التفصيل: وهو جوازه في البناء وتحريمه في الفضاء: الأئمة مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وهو مروي عن ابن عمر والشعبي، وقالوا: إن الأدلة تجتمع في هذا القول، ويحصل إعمالها كلها، ونقل تأييد

(٨٤) التوضيح١/١٢٤-١٢٥.

(٨٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٤١) برقم: (١٤٤) (كتاب الوضوء ، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء جدار أو نحوه) ، (١ / ٨٨) برقم: (٣٩٤) (كتاب الصلاة ، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشأم) ومسلم في "صحيحه" (١ / ١٥٤) برقم: (٢٦٤) (كتاب الطهارة ، باب الاستطابة).

الصنعاني لهذا القول، ثم قال: وهذا هو الراجح من الأقوال الثلاثة.

فعندما ظهر للشيخ قوة قول الجمهور أخذ به، وأخذ باستدلالهم، وصرّح بالترجيح[٨٦].

النموذج الثالث: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)[٨٧].

قال الشيخ في الخلاف في مسألة القراءة بالفاتحة خلف الإمام في الصلاة الجهرية[٨٨]:

"أجمع الأئمة الأربعة وأتباعهم على وجوب قراءة الفاتحة، للإمام والمنفرد، وأنَّ الصلاة لا تصح بدونها، عدا الحنفية في إجزاء الصلاة، وتقدم خلافه"، ثم قال: "واختلفوا في وجوب قراءتها على المأموم" ثم بدأ بذكر القول الأول فقال : "فذهب الإمام الشافعي وأهل الحديث إلى :أنَّها تجب على المأموم في الصلاة السرية والجهرية، مع الإمكان، ويستثنى من القول بوجوب قراءة الفاتحة إذا أدرك الإمام راكعًا، فيكبر ويرفع مع الإمام، ويكون مدركًا للركعة، فتسقط عنه الفاتحة حينئذٍ، وكذا لو أدرك الإمام ولم يتمكن من إكمال الفاتحة، فإنه يركع وتسقط عنه في هذه الحال...".

والشيخ ذكر قول الشافعي ومن تبعه، وأغفل ذكر الدليل هنا؛ لوضوح الأمر بأنّ قولهم يستند إلى حديث الباب الذي يشرحه، وهو حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ[٨٩].

وهذا من أساليب الشيخ في الاختصار، فلم يرغب في تكرير ذكر الأحاديث، واكتفى بورود الحديث في أول الباب.

وأورد الشيخ أدلة القول الثاني قول الجمهور المانعين من قراءة المأموم خلف الإمام فقال: "وهو ما جاء في صحيح مسلم أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– قال" :وإذا قرأَ فأنصتوا"[٩٠]، وجاء في مسند الإمام أحمد، وغيره بإسناد صحيح متصل، رجاله كلهم ثقات؛ أنَّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم –قال":من كان له إمام فقراءته قراءة له"[٩١].

(٨٦) التوضيح٣٤٨/١.

(٨٧) أخرجه البخاري في صحيحه في الأذان-باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر١٥١/١، رقم٧٥٦، ومسلم في صحيحه، في الصلاة -باب وجوب قراءة الفاتحة فِي كل ركعة٩/٢/ رقم٣٩٤.

(٨٨) توضيح الأحكام١٨٧/٢-١٨٨.

(٨٩) تقدم تخريجه قريباً.

(٩٠) أخرجه مسلم في صحيحه في الصلاة - باب التشهد فِي الصلاة ١٥/٢، رقم٤٠٤.

(٩١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٢ / ٣٣) برقم: (٨٥٠) أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا) (بهذا اللفظ)، وأحمد في "مسنده" (٦ / ٣٠٩٣) برقم: (١٤٨٦٩) (مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه ،) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣ / ٢٧٤) برقم: (٣٨٠٠) (كتاب الصلاة ، من كره القراءة خلف الإمام) كلهم من طرق عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابر رضي الله عنه مرفوعاً به، وسنده ضعيف، فمدار الحديث في رواية ابن ماجه وغيره على جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، الرافضي، وهو ضعيف عند الجمهور انظر الجرح والتعديل٤٩٧/٢، والتقريب رقم٨٨٦، وأجمع ما قيل في هذا الحديث ما قاله الزيلعي: "وهذا حديث لم يثبت عند أهل العلم من أهل الحجاز والعراق لإرساله وانقطاعه، أما إرساله فرواه عبدالله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما انقطاعه فرواه الحسن بن صالح عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن جابر، ولا يُدرى أسمع جابر من أبي الزبير أم لا ؟!"نصب الراية لأحاديث الهداية: (٢ / ١٩)، وقال الحافظ ابن حجر: " مشهور من حديث جابر، وله طرق عن جماعة من الصحابة وكلها معلولة"، التلخيص الحبير: (١ / ٤١٩).

ثم أورد الشيخ دليلاً ثالثاً يزيد من قوة هذا القول، وهو فعل الصحابة الذي ينبثق عن فهمهم وتعاملهم مع النصوص النبوية بشقيها النافية والمثبتة وتطبيقهم العملي، فقال: "وثبت النهي عن القراءة خلف الإمام عن عشرة من الصحابة"[٩٢]، وقال الشعبي :"أدركت سبعين بدريًّا، كلهم يمنعون المأموم من القراءة خلف الإمام"[٩٣].

ثم ذكر جوابهم عن حديث "من صلي خلف الإمام، فقراءته قراءة له "بما قاله ابن حجر من أنَّ طرقه كلها معلولة، لا تقوم بها حجة"[٩٤].

ثم أتى بأقوى اعتراض على دليل القول الأول فقال: "وأما الآية والحديث": وإذا قرأ فأنصتوا– "فهي عمومات تصدق على أي قراءة، وحديث عبادة خاصٌّ بالفاتحة، والدليل الخاص يقضي على الدليل العام".

فهنا نجد الشيخ يجيب عن أدلة القول المانع من القراءة خلف الإمام بحجج أصولية، وهي أن أدلتهم عامه، وحديث عبادة خاص بالفاتحة، والخاص يقضي على العام[٩٥].

ثم أورد الشيخ القول الثالث وهو قول " الإمام مالك –فيرى وجوب قراءة الفاتحة في السرية، وعدم مشروعيتها في الجهرية، ويرى أنَّ هذا القول تجتمع فيه أدلة الفريقين، فإذا كانت الصلاة جهرية، فإنَّ قراءة الإمام له قراءة، بما يحصل له من أجر السماع والإنصات، وفائدة فهم المعنى من التدبر والتفكر"[٩٦].

ثم ذكر من رجح هذا القول الوسط فقال: "ولذا رجحه الإمام المحقق شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو قول أكثر السلف؛ أنَّه إذا سمع قراءة الإمام أنصت، فإنَّ استماعه لقراءة الإمام خير من قراءته، فإنَّ الإنصاف إلى قراءة الإمام من تمام الائتمام به، فإنَّ من قرأ على قومٍ لا يستمعون لقراءته، لم يكونوا مؤتمين به، وهذا مما يبين حكمة سقوط القراءة عن المأموم، فإنَّ متابعته لإمامه مقدمة على غيرها، حتى في الأفعال، وقال (أي شيخ الإسلام) في موضع آخر: القراءة مع جهر الإمام منكر، مخالف للكتاب والسنة، وما عليه الصحابة"[٩٧].

---

(٩٢) وهو كما قال، ومن يراجع المصنفات يجد الروايات في النهي عن القراءة خلف الإمام عن جمع من الصحابة، انظر علي سبيل المثال مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الصلاة - من كره القراءة خلف الإمام، ٢٧٩/٣رقم٣٨١٢ مروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومروي عن علي رضي الله عنه في مصنف عبد الرزاق - كتاب الصلاة - باب القراءة خلف الإمام١٣٨/٢ رقم٢٨٠٥، ومروي عن أنيس رضي الله عنه في مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الصلاة - من رخص فِي القراءة خلف الإمام٢٧١/٣، رقم٣٧٩٠ ، وعن ابن عمر رضي الله عنه في سنن الدارقطني - كتاب الصلاة - باب ذكر نيابة قراءة الإمام عن المأمومين٢٦٠/٢، رقم١٥٠٣.

(٩٣) للأسف لم أجد هذا القول عن الشعبي لا في كتب الحديث ولافي غيرها من الكتب المسندة، ولافي موسوعات الحديث الرقمية، بل المروي عن الشعبي خلافه، فقد روى ابن أبي شيبة في الصلاة، باب من رخص فِي القراءة خلف الإمام٢٧٢/٣، رقم٣٧٩٤ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ قَالَ : "سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَسِّنُ الْقِرَاءَةَ خَلْفَ الْإِمَامِ" قلت: وإسناده صحيح، ويحتمل أنه لايريد العموم وإنما يخص الصلاة السرية كما يفهم مما رواه عنه ابن أبي شيبة في مصنفه- كتاب الصلاة - من رخص فِي القراءة خلف الإمام٢٧١/٣، رقم٣٧٨٥ قال: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ سَالِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْقِرَاءَةُ خَلْفَ الْإِمَامِ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ نُورٌ لِلصَّلَاةِ" وإسناده صحيح، لكن استغرب إيراد الشيخ للرواية!! وكأنه نقلها عن بعض الكتب الفقهية! والأثر بهذا اللفظ منتشر في بعض كتب الفقهاء من الأحناف وبعض الكتب المعاصرة، وأظنه لايثبت!!.

(٩٤) التلخيص الحبير: (١ / ٤١٩).

(٩٥) انظر روضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ٦٣).

(٩٦) التوضيح١٨٨/٢.

(٩٧) التوضيح١٨٨/٢.

ثم ذكر الشيخ من نصر هذا القول الذي قال به مالك فقال: "وممن مال إلى هذا التفصيل الذي يراه الإمام مالك، ورجَّحه الشيخ تقي الدين –كثير من علماء الدعوة، منهم الشيخ عبد الله بن محمَّد، والشيخ محمَّد ابن إبراهيم، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي، رحمهم الله تعالى"[٩٨].

ونلاحظ أن الشيخ ينصر هذا القول، يتضح ذلك من خلال استعراضه لهذا القول وحشد ما ينصره بكلام شيخ الإسلام المعتمد ترجحه لدى الحنابلة وكثير من محققي المذاهب، ثم ذكْره ترجيح علماء نجد والدعوة السلفية لهذا القول.

ويتلخص لدينا بعد النظر لمختلف الحديث لدى الشيخ البسّام ما يلي:

١. الشيخ يحاول يختصر في عرض الخلاف ما بين الصفحة إلى الصفحة والنصف، ولا تزيد إلا في حال الضرورة، بناء على التزامه بمنهجه في الاختصار في الكتاب وعرض الخلاف.

٢. مع اختصار الشيخ إلا أنه يبدع في اختيار أهم الأدلة وأهم التعليلات في المسألة، ثم اختيار القول الراجح، أو ذكر من اختار القول الأرجح من كبار المحققين والمجتهدين.

٣. الشيخ يدلل ويحكم على الحديث، ويعلل تعليلاً فقهياً، أو أصولياً كما رأينا هنا وفي معظم عرضه للخلاف في الكتاب.

(٩٨) التوضيح٢/١٨٨.

٤. وهذه من أساليب الشيخ التي لحظتها في معظم كتابه، فإما أن يصرح بالترجيح[٩٩]، وإما أن يذكر من التعليل وأقوال المحققين المرجحين في نصرة القول ما يغني عن تصريحه بالترجيح كما هو الحال هنا[١٠٠].

٥. نلاحظ أن الشيخ في تناوله للخلاف، ومختلف الحديث، يتبع طريقة مشاهير الأئمة في ذكر الأقوال في المسألة، ومن قال به، ودليل كل قول، وحجة كل رأي، ويتناول الحكم على الحديث صحة وضعفاً، ثم يختار القول الراجح بتعليله، وأحياناً يجيب على أدلة المخالفين وتعليلهم بما يبطله.

٦. يتضح أيضاً قدرة الشيخ الحديثية، وكذا قدرته الفقهية في مناقشة الأقوال والترجيح بينها بألخص عبارة.

٧. كثيراً ما يختار ما يذهب له كبار المحققين من أئمة الإسلام كابن تيمية وابن القيم والنووي وغيرهم، وأحياناً نرى أن الشيخ يختار غير قولهم إذا ظهر له أن الراجح خلافه.

٨. ما تقدم *يستدعي دراسة تفصيلية لمختلف الحديث لدى الشيخ* يخص به طلاب الدراسات العليا

(٩٩) والأمثلة مليء بها الكتاب، من ذلك عندما ذكر الخلاف في ميتة البحر وقال: "وذهب الإمامان مالك والشَّافعي: إلى إباحة جميع حيوان البحر بلا استثناء...ثم بعد ذكر الأدلة قال: " وهو الأرجح" توضيح الأحكام(١/١١٧)، وأيضاً عندما ذكر الخلاف في مسألة الجهر بالبسملة وأدلة كل فريق، قال: "وعدم الجهر هو مذهب جمهور العلماء.. وهو الراجح من هذه الأقوال" توضيح الأحكام(٢/١٩٤).

(١٠٠)انظر ذكره للرواية الثانية عند أحمد والتي اختارها ابن تيمية وابن القيم ومحققي الحنابلة من أن الصعيد كل ما تصاعد على وجه الأرض بما يفهم منه نصرته لهذا القول. توضيح الأحكام(١/٤٢٧) والأمثلة كثيرة.

في السنة التمهيدية فقط، أما البحوث الكبرى في الماجستير والدكتوراه فتُخص بمختلف الحديث لدى كبار الأئمة ليستفيد الطلاب أبلغ استفادة.

المطلب الثالث

التعقيبات العلمية على كتاب تيسير العلاّم

التعقيب الأول: تعقب شيخنا الفقيه العالم الجليل محمد بن سليمان البسّام رحمه الله[١٠١] ابن عم الشيخ عبدالله كتاب تيسير العلام في مؤلفه "إرشاد ذوي الأفهام إلى التوضيح والاستدراك على تيسير العلام"، وهو عبارة عن رسالة صغيرة في اثنين وثمانين ورقة[١٠٢]، ويظهر أن الشيخ محمد قام بتدريس الكتاب بقراءة بعض الطلاب عليه، كما يفهم من مقدمة الكتاب، وظهرت له هذه الملاحظات فقام بتدوينها[١٠٣].

والملاحظات متنوعة، منها:

١- ما يتناول زيادة في الحديث لم ترد.

٢- أو الاعتراض على ترجيح في مسألة.

٣- أو يرى أن تعليل الشيخ في مسألة ضعيف، وهناك ما هو أقوى منه.

٤- أو يصحح عزو بعض الأقوال لبعض المذاهب، أو يرجح بناء على الدليل الأقوى.

وغير ذلك من وجوه الاعتراضات، والشيخ محمد البسّام رحمه الله فقيه قوي النفس في مناقشة الأقوال ونقدها، وفي التحقيق في كل مسائل زاد المستقنع، ونقد المرجوح منها بالدليل أو التعليل كما شهدناه في دروسه، مع العناية بالأخذ بالدليل الصحيح[١٠٤].

قال الشيخ محمد بن سليمان آل بسام: "وقد اطلع عليه المؤلف وأثبت البعض منه بدون شك، وأهمل البعض الاخر، وما أدري لأي سبب"[١٠٥]. قلت: والسبب واضح والله أعلم، فالمسائل اجتهادية، والشيخ عبدالله البسّام ربما قبل ما رآه صواباً من خطأ أو استدراك أو قوة ترجيح، وأبقى ما يرى عدم صوابه عنده على حاله، ولكل وجهة هو موليها.

التعقيب الثاني: "بحث التعليقات الحسان على آل بسام في تيسير العلام"، وهو للباحث رأفت الحامد بن عبد الخالق كتبه في ١٤٢٩هـ.

وهو استدراك حديثي وفقهي مهم، وسأذكر طبيعة هذه الاستدراكات في نقاط كما يلي:

٨- وقوع تصحيف أو سقط من حديث قد يغير المعنى كما في التعليق الأول.

٩- فقد ينقل الشيخ شرحاً أو استنباطاً لنقل لشرح الحديث يكون فيه نقص لبيان الأصوب في

---

(١٠١) انظر ترجمة الشيخ وكامل تراثه في موقعه /http://m-al-bassam.com.

(١٠٢) طبعته دار ابن الجوزي عام١٤٢٦هـ.

(١٠٣) وأثناء تحضيري لرسالة الماجستير في مكة عام١٤٢٠هـ، وأثناء حضوري لدروس الشيخ محمد في بيته أهداني الشيخ نسخة من الكتاب، وكانت مخطوطة بخطه الجميل.

(١٠٤) والشيخ محمد البسام أحد كبار وخاصة طلاب الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله، وامتداداً لمدرسة الدليل والتحقيق التي انتهجها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

(١٠٥) إرشاد ذوي الأفهام إلى التوضيح والاستدراك على تيسير العلام ص٦.

الاستنباط فينقل الباحث نص كلام الشراح وافياً ليحقق المقصود.

١٠- قد ينقل الشيخ تفسيراً لجملة مثل الإقعاء بناء على قول ضعيف، فينقل الباحث التفسير الأرجح.

١١- قد ينقل الشيخ نهياً لصفة بناء على حديث ضعيف، فينقل الباحث ضعف الحديث وضعف التدليل عليه كما في تخصيص التورك للرجال دون النساء، أو جمع نفسها أثناء السجود ونحو ذلك، وأنه لا يوجد دليل على التفريق وأن صلاة المرأة مثل صلاة الرجل على حد سواء كما في التعليق الرابع.

١٢- قد يذهب الشيخ إلى تأويل معنى في الحديث باعتبار قرينة، ثم ينقل الباحث عن العلماء ما يدل على الأخذ بظاهر الحديث في هذا الموضع.

١٣- قد يعزو الشيخ مسألة للجمهور أو غيرهم ويبني ذلك على حديث ويسكت عن سنده، فيأتي الباحث فيبين ضعفه وعدم صلاحيته للاستشهاد.

١٤- وهو في العموم يركز على الاستدراك على الأحاديث صحة وضعفاً وعلة، واستنباطاً وشرحاً[١٠٦].

الخاتمة وفيها أهم النتائج وأهم التوصيات

أولاً: النتائج

١ - الشيخ العلامة عبدالله البسام أحد كبار علماء المملكة المبرزين في الفقه خاصة وفي غيره من العلوم، حيث تميز الشيخ بنبوغه من الصغر وحفظه لأهم متون العلم المختلفة ودراسته لمعظم فنون الشريعة ومنها الحديث وعلومه، وتأليفه وتدريسه في هذا الباب.

٢ - للشيخ رصيد في تدريس الحديث والسيرة النبوية والتأليف في الحديث، وهو يحتاج لجمع وترتيب، وتقديمه للناس، ويتمثل ذلك في تسجيلات لدى مكتبة الحرم وغيرها.

٣- تميز الشيخ عبدالله البسام بروعة وسهولة تدريسه للحديث والسيرة النبوية، وتقريبه للعلم لصغار الطلاب وكبارهم، ولا يتوسع الشيخ في دروس الحرم، لكنه يمثل ويصور المسائل ويذكر الراجح بدليله.

٤- كتاب الشيخ توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام في طبعته الأخيرة يعد من أفضل شروح الشيخ التي بسط فيها المسائل والفوائد، لاسيما الحديثية والعللية، والترجيحات، ويعد من أسهل وأجود شروح البلوغ المعاصرة والتي حصل لها قبول وإقبال.

٥- تميز الشيخ في فن عرض الخلاف الفقهي والجمع بين الأحاديث المتعارضة بما يسمى (مختلف الحديث)، ومن خلال النظر في تعامل الشيخ مع

---

(١٠٦) انظر رابط البحث في موقع كل السلفيين: https://www.kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=12120. وأيضاً في موقع أهل الحديث: https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=144846.

هذا النوع يتبين قدرة الشيخ الفقهية والحديثية في الجمع بين الأحاديث والجواب عليها.

٦- الشيخ فقيه لكن تميزت مشاركته الحديثية في كتابه توضيح الأحكام عند حكمه على الأحاديث، ونقل ما فيها من صحة أو ضعف أو علة.

ثانياً: التوصيات:

١- هناك حاجة ماسة لجمع تراث الشيخ المسموع المتمثل في دروسه الكثيرة في الحرم المكي وغيره، وإعادة ترتيبها وتأهيلها وفهرستها وتقريبها للناس.

٢- يمكن أن يستفاد من شروح الشيخ الصوتية وتفريغ ما يناسب مما لم يؤلف فيه الشيخ وتهذيبها وطباعتها.

٣- يمكن تدريب طلاب الدراسات العليا على بحوث **صغيرة تتناول منهج الشيخ في سائر أبواب الفقه في مختلف الحديث.**

٤- على المؤسسات الخيرية الخاصة بالأسر العلمية أن تعتني بتراث كل عالم من الأسرة، ومن علماء المملكة بشكل عام، كما فعلت مؤسسة ابن عثيمين الخيرية.

المصادر

١- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- أخلاق العلماء لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية.

٣- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ١٤١٩ هـ) ط٣.

٤- تقريب التهذيب، العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) ط١.

٥- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٦- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، العسقلاني أحمد بن حجر، (دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.).

٧- توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ) الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة، ط٥، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٨- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام (المتوفى: ١٤٢٣هـ) حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق الناشر: مكتبة الصحابة، الأمارات - مكتبة التابعين، القاهرة ط١٠، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.

٩- الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١. ١٩٥٢ م.

١٠- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، العسقلاني الحافظ أحمد بن حجر، المحقق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، الناشر: دار المعرفة - بيروت).

١١- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٢- سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ) دار الحديث، د ط، د تاريخ.

١٣- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٤- السنن الكبرى، النسائي أحمد بن شعيب تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، وأشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، وقدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م).

١٥- السنن، ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي).

١٦- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ترقيم الأحاديث، وفق طبعة: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

١٧- السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (شركة الطباعة الفنية المتحدة).

١٨- صحيح مسلم، النيسابوري مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م)، ط٢.

١٩- الصحيح، البخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة: بيروت، ١٤٢٢هـ)، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١.

٢٠- المجتبى من السنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م) ط٢.

٢١- المسند، ابن حنبل الإمام أحمد بن حنبل، جمعية المكنز الإسلامي- دار المنهاج الطبعة: الأولى١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢٢- المصنف لأبي بو بكر بن أبي شيبة، دار القبلة - جدة - السعودية، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - سوريا، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٢٣- معرفة علوم الحديث المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) المحقق: السيد معظم حسين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢٤- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، (مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ط١.

٢٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .

المواقع الإلكترونية

١. ملتقى كل السلفيين:

https://www.kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=12120l

٢. أهل الحديث:

https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=144846.

٣. صيد الفوائد: https://www.saaid.net/bahoth/149.htm

الألوكة: https://www.alukah.net/sharia/0/97100/.

٤. الدكتور عبدالكريم الخضير:
https://shkhudheir.com/pearls-of-benefits/163450777، و http://www.khudheir.com/audio/61،
https://shkhudheir.com/pearls-of-benefits/163450777

٥. الآجري: https://www.ajurry.com/vb/forum

٦. الشيخ محمد سليمان البسام http://m-al-bassam.com/.

٧. قبلة الدنيا (مكة):
https://www.makkawi.com/Article/36

٨. موقع الشيخ العثيمين:

٩. https://csi.qu.edu.sa/content/pages/249.

١٠. المكتبة الوقفية:

١١. https://waqfeya.com/book.php?bid=531.

١٢. مكتبة الملك فهد الوطنية:
http://ecat.kfnl.gov.sa:88/ipac20/ipac.jsp?session=1N0654321792P.

١٣. موقع جامعة المجمعة، شؤون المكتبات
الرابط: http://mufind.mu.edu.sa/Record/75554.

١٤. موقع الألوكة:
https://www.alukah.net/sharia/0/5704/#ixzz6SalhRTaR
.

١٥. موقع مداد للمحمود
(https://midad.com/article/203796).

الجهات العلمية التي تم التواصل معها للاطلاع على تراث الشيخ:

١. مكتبة الحرم المكي في نفس الحرم.
٢. مكتبة الحرم فرع بطحاء قريش.
٣. إذاعة مكة (نداء الإسلام).
٤. التواصل مع أبناء الشيخ عبدالله البسام، ولم يصلني شيء إلى الآن.

The Efforts of the Scholar Sheikh Abdullah bin Abdulrahman Al-Bassam in the Service of the Prophet's Sunnah

Dr. Abdullah bin Mohammed Mansoor

Associate Professor of Hadith and its Sciences,

Department of Islamic Studies, college of Science and Arts,

Al-Namas, University of Bisha

ashik@ub.edu.sa

The Efforts of the Scholar Sheikh Abdullah bin Abdulrahman Al-Bassam in the Service of the Prophet's Sunnah

Abdullah bin Mohammed Mansoor

University of Bisha

ashik@ub.edu.sa

Abstract. Research topic is "The Efforts of the Scholar Sheikh Abdullah Al-Bassam in the Service of the Prophet's Sunnah". This research aims to highlight the Sheikh's efforts in the Prophet's hadith and the Prophet's biography in writing, and in teaching in the Grand Mosque in Mecca. The researcher followed the method of data collection and analysis by recording his lectures, studying his books and accompanying him during collecting the data. One of the most important results is identifying the scholar's various efforts which are represented in his books and the methods he followed in teaching Sunnah to people and in choosing and judging hadiths. The researcher, in this research, recommends to study the Sheikh's huge number of written and audio materials and arranging them in a way that can be beneficial.

Keywords: efforts, Al-Bassam, translation, Sunnah, Prophet's biography.